كتب للجميع

ألوان من الحب

بقلم عباس حافظ

جميع الحقوق محفوظة

٨ شارع ضريح سعد القاهرة

طبع بمطابع جريدة « المصرى »

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

فى هذه القطع العشر ، الوان نضر ، وظلال سود وخضر ، من ارفع العواطف واسماها ، واشرف الدوافع وأقواها . وهو الحب ، خليقة المصور ، البديع ، البارى ، ويد اللطيف الخبير ، الذى سوى الانسان أو عدله ، فى اى صورة ماشاء ركبه ، وجعل الحب فى الحيوان اشد غرائزه ، واحاله فى الانسان اكبر تميزه ، لانه الغريزة مع لطف الحس ، وتهذيب الحضارة وجمال اللون والشارة ، ووحى الفكر ، والهام الضمير .

الحب هو غذاء القلب ، ومادة الروح ، وجوهر الكون ، ومحرك الدنيا ، والرابط بينها وبين الآخرة .

الله فيه يتجلى ، والانسان به يسمو ، والعالم على هداه يسير .

وهذه الوان مختلفة منه ، كل منها طبيعى لانه فى الفطرة ، وكل ظل من ظلاله جميل ، لانه فى الدوحه البشرية التى منها نبتنا وعلى افنانها تنقلنا ، ومنها ثمراتنا على الدهر ، وازهارنا فى مواسم الحياة ، وحقول الزمن ومسيرة السنين .

ومن يؤمن بالحب ، فهو بالله مؤمن ، ومن يحتقر به ، فقد كفر بنعمة الحياة ، التى جعلته شركة سواء ، بين الحيوان والانسان .

عباس حافظ

obeikandl.com

الحب ..!

لقد قضيت الحياة كلها احلم به ، والتهف عليه ، واتوق الى مطالعه ، ولو أنه جاءنى بادرا لما وجدنى خافة للقائه ، ولقد كنت على طول الحنين اليه لارى من زمانى فسحة للبحث عنه ، ولكنه لم يجىء باكرا ، وانما طال عليه الغياب ، ثم اقبل يدلف ويمشى وئيدا على أدبار الشباب ...

ولكنك لن تجد فى قصة هذا الحب شيئا يروقك أو يوقد بعض ناره فى جوانحك ، لانه حب بدا على ثنية الكهولة ، ولم يبد على بواكر الشباب ، وسطع الحداثة ، اذ تروح النفس متوعة بأحلامه ، ولا يزال الخاطر مصقول الاديم متهيئا لاستقباله .

أى والله لم أجد من زمانى فسحة للحب ، ولكن الذى صرفنى عنه وعدل بى عن واديه ، لم يكن غير واجب الرعاية لاختى الصغيرة « ج .. » فقد قضت امنا يوم كانت اختى فى العاشرة وانا فى السادسة عشرة ، فكانت رعايتى لتلك الصغيرة ومساعدتى لامى المسكينة ، التى لم تستطع نهوضا من الصدمه التى عاجلتها بوفاة ابى ، قد تركتانى اكبر قبل الاوان .

وكان أبى ابدا يناديني « ياعوتى الصغير » فكنت ازهى بهذه الكنية ، واتيه فخارا بهذا الاسم ، واجد فيه الفرح والخيلاء .

وكنت أقرب شبها بأبى منى بأمى ؛ فقد ورثت عنه عينيه السوداوين الهادئتين ، اللتين توحيان من الاعماق قوة الارادة ، وحب الريف ، والميل الى القرية .

وكان ابى رئيسا للحطابين الذين يعملون فى ارباض قريتنا ، وكانت امى مخلوقة ناعمة ... صنع الله لها ، تلك الأم الغريرة الضعيفة الحول ، الواهية الارادة ، لا تسأل شيئا ولا تسأل عن شىء ، وكانت الصغيرة « ج .. » أقرب شبها بها . وكانت أمى من أهل الحضر ، ولدت ودرجت وقضت مطالع شبابها فى المدينة ، فلم تكن تروقها عيشة القرى ، ولم يفتنها مشهد الحقول ، ولم تستروح نفسها لافق الريف .

وفى ذلك العهد لقيت ابى ، فكانما التقت قوة السرو الباسقة الصلبة المتينة بطراوة انفاس الربيع الين العليل ، وكان ابى يناديها « بأنفاس السماء » لنعومة بدنها ، ونصاعة محياها ، ومسة من لون الذهب الاصفر الناضر ، [illegible] ، وذلك العبق الخفيف الخفى المدهش الساحر الذى يدع الناس ينادون زهرة الربيع بانفاس السماء وشذاها .

وكذلك كانت فى عين ابى وعينى ، ولكنها لم تكن زهرة من زهرات البر فلم تأخذ فى النمو حيث مضى بها ابى الى الريف القفر الساكن بل حاجلها الذبول فنكست - فعل الزهرة الذاوية - راسها ، وعادت أشبه الاشياء ، بشجرة اللبلاب تتعلق بالسروة الناهضة فى صميم الفضاء .

ففى ذات يوم والشمس تتزاور بادية من خلف السروات الناحلات المديدات . اذ ارتفع فى السماء فبدد الصمت الرهيب ، صوت عظيم تهلع له النفوس ، وتنهد القلوب هدا ، صوت قصف توالى ينذر بوقوع حادث فى اكناف الغاب ، واخذ الناس يهرعون على الصوت من كل مكان ، ويلتمسون الطبيب ، ويطلبون للمصاب الغياث . . .

ولكن ترى من يكون هو ؟ لقد مضت كل ذات بعل ، وذات

ولد تسأل وهى شاحبة اللون ، واجفة الفؤاد : من هو ، وما الخطب الذى دهمه ، ووقفن لاهفات جازعات ينتظرن النبأ ، ويرتقبن قصة المصاب

وجاء فتى من الحطابين يعدو فقال ان الرفقة قادمون بأبى .. واحزناه .. لقد رايت أمى ..امى المسكينة ، الحلوة ، الضعيفة ، الواهية ، تتوائب من فرط الالم ، وتتساند من فداحة الكارثة ، واما أختى فأخذت تتصايح وتبكى بدافع الغريزة ، وهى لا تدرى علام البكاء ، ومامبلغ المأساة ، وجلال الخطب ، وانما تبكى لبكاء امها ، وتجاوب بالدمع دمعها ، وانا ، الله لى .. لقد استقرت على وجهى عيناه السوداوان ، وشفتاه الملتهبتان ، وهما تبتردان رويدا وتصفران على مهل ، وهو يحاول ان يبعث من صدره انفاسه المتحشرجة الخافتة الراجفة ، نعم ، أنا عونه الصغير ، وسناده الاكبر ، وفى رفق يمازجه اصرار ، راحت جارة لنا تفك يدى أمى المشتبكتين حول صدره ، وتمشى بها وطفلتها منصرفة بهما من الحجرة ، وجثوت أنا بجانب أبى ، ومضيت أقول بصوت مختنق : انك لن تتركنا يا ابى . . . وحاول هو أن يرفع يده ليلاعب جدائل شعرى ملاعبة الفتها منه ، ولطالما فرحت بها ، ، ولذنى لطفها ورفقها ، فتراخت يده ولم تستقم ، اذ سقطت كتلة عظيمة من الخشب فوق صدره فحطمت اضالعه ، وتركت يديه مرتخيتين واهيتين متساقطتين الى جنبيه

وانحنيت وذهبت انصت الى الكلمات التى راحت تخرج من بين شفتيه المختلجتين متقطعة لاهثة لاتكاد تبين .

قال لقد رقيت مركزا اسمى من مركزى ايتها الصاحبة الصغيرة ، والولية الحسناء ..نعم ، أناتاركك لنفسك ، ومعتزل فى هذه الحياة عملى . ياعونى الصغير ، انت الان عونى الاكبر .. لديك امك الصغيرة ، « انفاس السماء » ، ولديك اختك الغريرة الحسناء ، الست ناهضة فى العيش بجانبهما ، آخذة بيديهما ياحبيبة ابيك وخليفته فى عشيرته ...!؟

فاطرقت اطراقة الايجاب اذعصانى منطقى فلم اجد لسانى على الجواب مسعفا ، ورأيت بياضا يغشى فمه شيئا فشيئا ثم يتصاعد الى خديه ، ويكاد يبلغ عينيه ، فانحنيت أدانى وجهه وامس بخدى فمه ، فاذا بذاك الفم قد سكن وانقطع اختلاج الشفتين واسترد ملك الموت من الارض وديعة السماء .

طار لبى ، وغام السحاب على خاطرى وعينى ، ورفعت راسى ونظرت الى عينيه الجامدتين ، فأفلتت من بين شفتى انة مجنونة موحشة ، واذا بيدين رقيقتين لكن قويتين قد رفعتانى من مجثمى وسمعت صوت الطبيب ينادينى قائلا : شجاعة أيتها المراة الصغيرة وتجلدا لاجل امك فانها احوج ماتكون اليوم الى عونك .

وعند ذلك ارتفعت ورائى صيحة كظيمة متهيبة تقطع نياط القلوب فدرت بعينى فرايت شبح أمى الناحل المنرنح حيالى وعيناها الاليمتان ترسلان نظرات لهيفة متوسلة كانما هى تحاول ان تدرك مبلغ المصاب ، وتسأل ما معنى الخطب وما امره ، وشفتاها تهتزان فى حركة تهد الفؤاد ، ويداها الصغيرتان البضتان تصعدان وتهبطان وقد جاءت فترامت على صدرى وتعلقت بثوبى ونحرى ، ومن فوق بدنها الواهى الناحل ألقيت العين على ابى . . . أبى وابتسامته الباسلة الحائرة التى لاتزال على وجهه ، وفى لهجة رهيبة ومنطق جليل رزين غمغمت اقول معطية عهدى ، مقدمة امام جثمانه الهامد موثقى . « سأتولى مكانك يا ابت . . . سأتولى مكانك ، فنم بسلام »

ولما قضينا للميت الراحل حقوقه ، خففت انا وامى واختى من القرية الى المدينة العامرة المخيفة بضجيجها وزحامها ، ولكن فتنة الحضر لم تستطع ان تمنع شجرة اللبلاب المتعلقة بجزع السروة الصلبة المتينة من التشبث بسنادها ، فما انقضى عام حتى وافت امى الصغيرة أبى الى مرقد الآخرة ، وضجعت بجانبه تحت اطباق الثرى .

وما بقى من مكافأة أبى استعنت به بعد رحيل أمى على شراء حانوت صغير على القارعة لبيع الفاكهة .

* * *

ومرت بى ثمانية أعوام طوال عنيفة جاهدة دابت فيها على الخدمة فى الحانوت ، وبرعت فى استهواء زبائنى واكتسبت خبرة برغباتهم فاستطعت ان أجعل الصبية « ج » الحسناء رافلة أبدا فى المطارف الناعمة ، تزيدها حسنا ، وتكسبها تفتحا وازدهارا .

وفى المساء ، اذا لم يكن حفل ولا خروج الى النزهة ، اعتدت ان اكب فى البيت على الخيط والابرة ، أحيك فى معزل ثوبا جديدا لاختى تريده للظهور غانية حالية فى محفل منتظر ، أو وليمة وشيكة ، ومن خلال الظلال لا ألبث ان أرى عينين ناعمتين براقتين مصقولتين تطالعاننى ضاحكتين متهللتين ، وهما مترعتان مراحا بالحب . واستراحا الى الصبابة ، وقد تحقق أمل الشباب ، وصحت فى الصبا الاحلام .

وكان حبيبها فتى ممتشق القد مكتمل العضل ، ذا فم حلو ومعارف عليها من الصباحة آيات بينات . وفيما كانت تلك الانسانة الصغيرة الخياليه البديعة تذوب متلاشية فى تلك الاحضان القوية الرقيقة المفتولة ، كنت اذهب اسائل النفس فى حسرات لماذا لم تقدر لى السعادة ، ولم قدحرمت ذلك الهناء ... ؟ ؟

واذكر ليلة دعانى فيها شاب مليح الى الذهاب معه الى العشاء فى مطعم فخم والانطلاق بعد نعمة المائدة الى الملهى ، فخفق فؤادى سرورا وطربا لتخيل قضاء بضع ساعات ، فى رفقة ذلك الاغيد المليح ، ولكنى تذكرت ان اختى ستذهب فى تلك الليلة بالذات الى مرقص بديع ، ولم اتم بعد ثوب زينتها ، فاستعفيت ولم اقبل المقترح . وكان هذا آخر العهد بينى وبين ذلك الفتى

وجاء اليوم الذى كاشفتنى اختى الطفلة الغريرة اللدنة الناعمة كأمها ، بعزمها على القران ، ففى تلك الليلة أطلت الجلوس الى المرآة فأدركت اننى مدانية حدود الكهولة ، واننى من فرط حنانى

عليها ورعايتى ، تركت الحياة تمر بى مرا ، حتى اصبحت ولم اعد غير فتاة عانس انمحت مسحة جمالها فغدت خلية من سمات الحسن ومعالم الحداثة

واها لى ، وحسرة على الشباب ، لقد كنت احلم بالحب ولا ازال به حالمة ، فيأسا ايتها المسكينة ، وهيهات فان الحب لم يخلق لمثلك وانما انت عون ابيك ، وخليفته فى عشيرته ...

* * *

وكذلك لبثت عشرين سنة بجانب « ج » ارعى لها بيتها وهى متعلقة بى كما كانت امنا تتعلق بأبينا ، وكانت هى تقول انها لاتستطيع العيش مستغنية عن عونى ، فظللت فى عونها ، وكانت ـ واحسرتاه عليها ـ لاتزال فى ريق الشباب عندما عاجلها الموت فذهبت للقاء امها وابيها ، وكان زوجها يحبها ويعجب بها ، ولكن قبل ان تتفتح اكمام الزهر والاعواد التى زرعناها حول قبرها ، وكانت تلك الازاهر احب شىء الى نفسها . جاء زوجها الى البيت بزوج اخرى ، ولم تكن هذه تحتاج الى سناد تترامى عليه ، وعماد تنهض فوقه . فلم البث ان ادركت انه لم تعد باحد حاجة الى بقائى .

لقد كنت من الحداثة ضرورية لاغناء لابى عنى ، ولا لامى من بعده ، ولا للصغيرة « ج » التى تركاها لرعايتى وعونى . فاذا بى على راس الاربعين ، وحيدة لاحاجة باحد الى ، ولا مكان لى عند احد .

وجاءنى يقول وهو متكره متردد ، انه قد اعد العدة لايوائى الى دار هادئة يعيش فيها نساء مثلى لايعملن عملا مجهدا ، ولكن يجدن رفاهية ورعاية بقية آجالهن

واحسب انه كان ينبغى لى ان اكون شاكرة لهذا الصنيع ، عارفة هذه المحمدة له ، ولكن روحا من الثورة والتمرد تولتنى ، اذ احسست اننى قد خدعت فى صفقة الحياة وغبنت ، فلقد ظللت الماضى كله اعطى كل شىء ولا آخذ شيئا ، اعطيت الشباب والامال والاحلام ، وها انا ذى اليوم لاأجزى عما وهبت غير العيش بقية الاجل بين جدران ملجأ ...

واحزناه ... انا التى لهفت على الحب وحلمت به ، ودعوت اليه ، قضى القدر ان احتبس فى دار للعجزة ... واللائى ادبر العمر بهن ...

يالله .. ادبر العمر بهن ولكنى لم اعد كذلك

لقد كنت فتية أحس فى الاضالع وقدة الشباب ، وكيف تنطفىء نار تجد فى كل يوم وقودها من اللهفة على الحب ، وجزوة الامل ، والتوق الى المنى البعيدة

لقد ثارت نفسى متمردة تريد ان تحتال آخر الحيل قبل ان تسكن الى اليأس وتودع الامل الوداع الاخير

* * *

واعلنت صحف المساء ان معرضا للملاهى والالعاب سيقام على ضفاف البحر . تذكارا ليوم مشهود ، ومضت تطنب فى وصف ضروب اللهو التى حشدت فيه ، فما كدت اقرأ هذا النبأ ، حتى أجمعت امرى على ان القى بآخر سهم فى كنانتى على مرمى الحياة قبل ان استسلم الى دخول ذلك الملجأ صاغرة ، فعددت فضلة المال التى ادخرتها ، فكانت يسيرة ولكنها تكفى لركوب القطار ودفع الاجر ونفقة المبيت . اذن لا بأس .. سأثب انوثبة الاخيرة ... سأعيش لنفسى يوما واحدا فى العمر ، يوما بهيجا حافلا بمتع الحياة من لهو وقصف ، واذن لن يستطيع الهيش فى الملجأ ان يحرمنى نعمة ذكرى ذلك اليوم وصورته ... !

وذهبت الى دولاب ثيابى فاخرجت أحسن حلله ، وابى شعرى الفاحم الا ان يلتوى ويسترسل فروعا وخصلا متلطفة تلاعب جبينى وخدى ، ورحت خيال شبابى المستعاد ، وعينى السوداوين يضحك لى فى المرآة عندما تناولت جعبتى الصغيرة ومشيت منصرفة لاقتناص ... الحب .. !

واخذت الجماهير تتقاطر ومالبث الخليج ان بدا حاشدا بالسابحين والسابحات فى مختلف الالوان ، تسطع منهم الاذرع

وتبرق السيقان ، وارتفعت صيحات الفرح من شفاه ملتهبة بحرارة الشباب ، تختلط في الفضاء بأصوات الباعة من كل صنف ولون ، وعادت الرمال البيضاء المترامية على الضفاف حديقة مفراحا بهيجة تطالع العين منها المظلات البديعة والاثواب المهفهفة ، وقوالب الحسن الثياب والملاحة ذات الدل والخفر والخيلاء .. وظللت لحظة مستطيلة قانعة بالجلوس فوق الرمال الدافئة وتأمل المارة ، ورؤية مشاهد الالعاب ، ولكني مانبثت ان درت بعيني فألفيت الناس جماعات ، مثنى وثلاث ورباع ، كلهم بالفه فرح ، وبرفيقه طروب ، أو بصاحبة في سرور وابتهاج ، ووجدتني في وسط هذا الجمع وحيدة من الخلان ، لارفيق اليه منتهى جذلي ، ولاسمير اضاحكه وانعم في بهرة الحفل بسمره ، فتولتني وحشة أليمة وظمأ الى الرفقة ، ولهف على الصاحب والخدين ، ورحت اجيل العين في الوجوه لعلي ملاقية وجها اعرفه ، او اسمع صوتا آلفه ، فوجدتني وحيدة غريبة لاشأن لها بالجمع ، بل امرأة محت الايام مسحة الجمال من معارف وجهها ، يدفعها الشباب المساميح الصباح الوجوه بالمناكب ، ويمرون بها ولاينظرون . ! واحزناه ! . لقد كنت بعد كل تلك السنين احسبني مختلسة من العمر يوما واحدا ذا مراح وابتهاج . اعدد ذكرى طيبة مواسية لبقية الاجل اقضيها بين جدران ملجأ موحش أليم .

ذك الله أيتها العانس المسكينة ، ودعي الأمل ، هيهات مالك في هذه الحياة من نصيب ، اذهبي اطلبي الى الوردة ان تغمض ، والى الزهرة ان تعود كما نواراكما كانت ، ما انت والحب ، وما انت والمراح ، انت عون ابيك وسنده . ولكن ابى . . . ها انا قد عدت وحيدة وقد تركني الذين وصيتني بهم ، ولم يعد لصغيرتك من تعينه وترعاه ، وذهب الامل ، وخبت وقدة اللهفة على الحب

* * *

واحتملني تيار الجمع الزاخر في طريقه فما لبثت ان وجدتني

فى السرادق الرحيب الذى اقيم فى المعرض للعبة الاحصنه الخشبية ، فانتبذت من القوم مكانا فجلست ملقية يدى فى حجرى وأسلمت خاطرى للتفكير

ولست أدرى كم لبثت فى مجلسى ، واذا بيد قوية قد القيت فوق يدى ، فتطلعت برجهى فأبصرت وجها وسيما تطل منه عينان زرقاوان تنظران الى وجهى نظرة مستطيلة مفعمة حنانا وتأثرا .

قال صاحب ذلك الوجه بصوت ملتهف خفيض ماذا بك ياسيدتى ؟ . فأثر فى نفسى حنين صوته فوجدتنى أقول وأنا خائرة النفس معذبة — اننى وحيدة . قال : وحيدة ! . . وخطف على وجهه نور رحمة وشهاب حنان غريب .

فقال يالك من مسكينة ! الا صديق ؟ .

فهززت راسى هزة النفى ولم اتكلم .

فسكت لحظة ثم ابتسم قائلا : هل لك فى ركبة معى فوق الاحصنة ؟ فخفق فؤادى ونهضت واثبة ، وقد عاودنى الأمل .

ولما رجع بالتذكرتين لمحت على وجهه لهفة كانها رجاء الفتى وضراعة أهل الشباب ، وركبنا مرتين ثم استعدنا الركوب مرات ، ونحن ضاحكان مسروران ، وفيما كان يعيننى على النزول لمس كتفى كتفه واستندت ذراعى الى ذراعه ، فاذا موجة من كهرباء قد سرت فى مفاصلى فهزتنى هزا .

وكان ذلك احساسا جديدا لم اشعر من قبل بمثله .

وجلسنا فوق الرمال واكلنا شيئا من الحلوى ، وكسبت فى النصيب سلة من سلال البقل والخضر ، فما عتمت هذه السلة ان اعادت الى خاطرى ذكرا حلامى الماضية ولهفاتى على عيش الزواج وحياة ربة الأسرة ، ورايت الحاضر ، نعم هذا الحاضر الهنىء الرغيد ذاويا متلاشيا فى المستقبل الأليم ، حفت جوانبه الوحشة ، وقام على حفافيه عذاب .

وتناول هو السلة فعلقها بذراعه باسما وبذراعه الاخرى امسك

بذراعى ، فقال لنترك هذه ونذهب نركب الى طوفة طيبة فذلك نعيم كدنا ننساه .

قلت اوثر أن نجلس جلستنا هذه لنشنف أسماعنا بصوت الموسيقى اذا لم ترمن ذلك بأسا ، فسرت فى تضاعيف صوته أنغام حنان ورنة لهف غريب ، وهو يقول أمتعبة انت ؟ قلت كلا . ولكنى ارى أن نختم يومنا على الاغاريد فذلك ابدع مايختتم به يوم كهذا . . .

ولفنا الصمت فى مجلسنا مليا .

وكان هو بالحديث البادىء

قال : هلا انبأتنى أين مقامك، وفيم لقاؤك ، حتى نتوافى الى يوم آخر طيب كهذا جميل المبتدا حلو المختتم .

واحسرتا . . يوم آخر . لقد نهضت فى مخيلتى جدران الملجأ واسوارها الشاهقة ، وكانسان بلغ اقصى نهاية العذاب ، ثم لم يستطع عليه بعد ذلك صبرا . رحت بين عبرة مخنوقة ، وزفرة كظيمة ، اقص عليه قصتى ، فلما اتممتها امتدت ذراعه فطوقتنى وراح صوته فى مثل حنان الأمومة يقول : واها لك ايتها المسكينة ! واها لك ايتها الصغيرة الحزينة !

فاستعدت يدى من امساكته وحاولت الكلام بثبات ولكنى اختنقت بالعبرات فلم استطع ثباتا ولا صبرا .

قلت : والآن لا امل ! . لقد ذهب الحلم الجميل ، ولم يبق غير ذكرى هذه الساعات القليلة . تلك عدة أيامى القادمة .

وعاد يتناول يدى الباردتين فى يده الحارة المستعرة ، وراح يقول فى لهجة المتضرع المبتهل : ما احوجنى الى عونك ياعون أبيك واهلك ، ان لدى البيت الذى كنت به تحلمين ، والافق الذى كنت عليه تلتهفين ، أواه ايتها الصغيرة ! . . انت والله المرأة التى كنت الحياة كلها اتمناها ، وتهفو نفسى اليها ، فهل تجدين فى فؤادك لعامل دؤوب مثلى موضعا ، وهل ترضين بى فى الحياة شريكا ؟

وجترت الى جانب آى

وشد يدى حتى كاد يؤلمنى . ولكنى لم اتألم ولم أحفل ؛ فقد كانت تلك اولى ساعات الحب ومطالعه

لقد لقيت ضالتى المنشودة . وفزت فى قنص الحب . وصحت الاحلام بعدلأى ويأس . وما أبدع الحب يجىء وئيدا ، ويقبل على مهل ، فينعش موات الأمل . وينسى المرء ماكابد على الطريق وما ذهب من مراحل الأجل !

طوبى للحب انه رحيم بديع وان جاء بعد الأوان . . . .

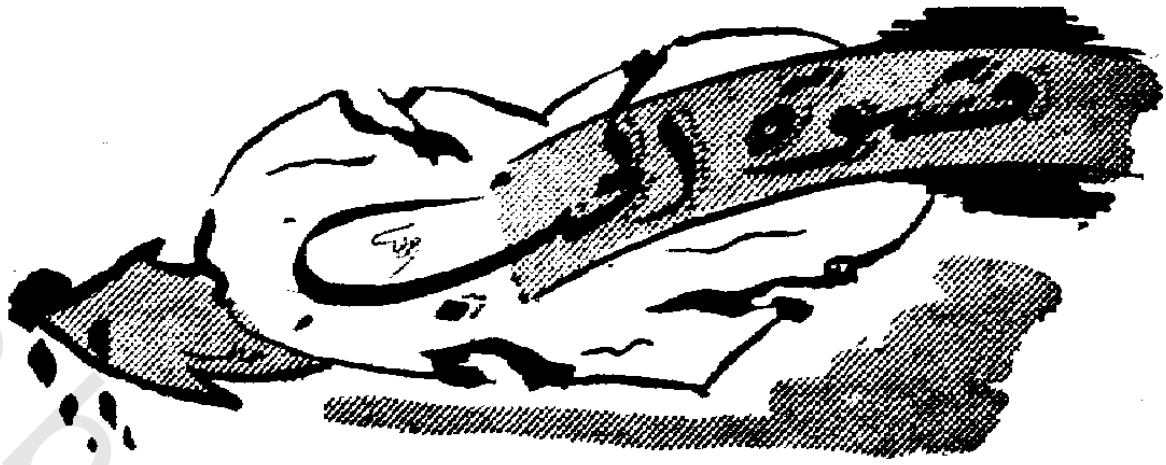

"كنت زوجا وفية فاضلة ،لم يخطر لها يوماان تخون بعلها ، ولا هى يوما خانته ، وما أتيت فى حياتى امرا نكرا ، ولا قرفت فى العيش شرا ، فيعيبنى المجتمع به ، ولكنى مع ذلك قتلت رجلا ...

ذلك ماتبانى به والد القتيل بعد ان عفا عنى وصفح ، فقد راح يقول انه لهين على المرءان تقتل كما هو بين عليها ان تهب الحياة ...

يا عجبا ! ماكنت اعرف ذلك ولا عن لى من قبل ، بل قد كنت اتدبر الامر من ناحيتى الخاصة ،واعمل على ان ادفع عنى غائلة القانون ، وما كنت ادرى ماعلى المراة التى تجد من الرجل الحب من فرائض كبار ، وتكاليف ثقال ...

وانا اليوم اسند فى حدود الاربعين ، وكان زواجى منذ ستة عشر عاما ، وزوجى راغد العيش ، موفق فى الحياة ، فنحن نسكن دارا جميلة فى ارباض المدينة ولم نرزق ولدا ، وقد مضت حياتى حتى العام الفارط هادئة مالوفة الا فترات تتولانى خلالها السآمة ، ويغمرنى ألم الوحشة ، فأجلس استعيد أحلام الشباب وامانى الصبا ،ايام كانت النفس لاهفة على الحب تتمنى لو تصيب اعجابا وحبا ، ولست ادرى علام رحت اتمنى شيئا كهذا ولم أعد الصبية الحدثة ، ولا الفتاة الغر اللعوب ،

ولا حق لى فيه اليوم ولا أنا من اهله ، ولكنا كذلك نحن النساء ، قد نجاوز حدود الشباب ، ثم لا تزال نفوسنا على الحب لاهفة ، والعين لنعمته ولذاذاته طلعة ، وعسير علينا ان نتخلى عن ذلك الامل ونستدبر ذلك الرجاء .

ومنذ قراب عام ، قبل عهدهذا الامر الذى جرى والذى انا به محدثتكم ، جاءت نسوة من المدينة فى زورة لدارنا ، وكنا جالسات نخيط ثيابا ، وقد جئت بفضلة من حرير وردى اللون فقلت لصواحبى شاكية أسفة : احسبها لاتكفى لنصطنع منها غطاء او سادة ، فقالت صاحبة منهن : لم لاتصنعين منها قميصا مقور لا اكمام له ياعزيزتى ؟..

قلت ضاحكة : ياعجبا !.. المثلى يصلح القميص المهفهف اوردى لا كم له ؟..

فقال : نعم ، وله حاشية من مخمل مذهب ، فانت مديدة القامة سمراء المعارف ، وانك لتزائين فى ربطة مهفهفة كهذه مليكة من الملكات البهيات الباهرات ..

قلت : ولمن ترين البسه ؟ ومن ذا سيشهدنى مترائية به ؟

قالت : لزوجك تلبسينه وعلى عينه تخطرين به .

فضحكن من قولها فاكهات ، فقد كنا نعلم ان ازواجنا لايحسبوننا مليكات ، ولا يروننا ـ وان تجملنا لهم هانجملنا ـ البهيات الباهرات .

ولكنى أمسكت بفضلة الحرير فالتففت بها ، وكان اليوم مطيرا والحجرة معتمة ، فما لبثت ان ادركت على بصيص الضياء اننى رحت فى لفة تلك الفضلة الوردية اللون رائعة حقا ، وحسناء باهرة ولا خفاء ، ولقد كنت فى صباى بدينة ممتلئة البدن ، ولكنى اليوم نحلت فأضحيت ممشوقة هيفاء ، واتهمت حدقتاى فرحت فى العين نجلاء

والتفت صاحبتى تقول : فى الحق ما رايتك يوما تلوحين كما

لحت الساعة رائعة حسناء ، الاصطنعى منها الغلالة الفضفاضة ياعزيزتى على بركة الله .

وكنت أعلم فى نفسى اننى ماكنت لالبس شيئا كهذا غريبا بديع الرواء ، فان زوجى سيحسبنى به ممثلة من رخيصات الممثلات ، ولكنى مع ذلك استمعت الى نصيحة صاحبتى فجعلت من تلك الفضلة قميصا ولم اصطنع له الحاشية المذهبة ابقاء على حشمة هونا ما ، وحرصا على شيء من وقار .

وفيماكنا نهيىء ذلك القميص، انا وصديقتى راحت تقول : لقد سمعتك يوما تقولين ان لزوجك آلة كاتبة قديمة العهد يضعها فى غرفة مكتبه ، فاسمعى اذن ، ان لدينا غلاما قد انحدر من باده البعيد ليقيم عندنا ، وهو يعد نفسه اليوم لدراسة علم التجارة ، وقد قلت له ان فى وسعه ان يجيء فى بعض الاحيان ليتدرب على الكتابة عندكم ويمرن انامله .

قلت : لاضير من ذلك ، فان زوجى لايعود فى المساء فى هذه الإيام من كثرة عمله وتراكم شواغله

قالت : ان الغلام فتى هادىء وديع عليه من الذكاء سمات ومخايل .

* * *

وفى أصيل اليوم التالى جاء الغلام .

وكنت قد غسلت شعرى قبل قدومه وجلست اجففه فى قاعة الاستقبال ولم اكن عقصت جدائلى بعد ، ولا قصصت من ذوائبى الغزار ، فعل النساء فى عصرنا هذا ، وديدن الحسان البرزات ، وانما تركت شعرى مرسلا على سجية فروعه الوحفة ، وضفائره المديدات .

وتلفت حولى ابحث عن ثوب اشتمل به ريثما تجف جدائلى ، ونحن اليوم لانقنع الا بالطريف ، ولا يرضينا فى كل يوم سوى

الجديد القشيب ، فتنـــاولت الثوب المهفهف الشفاف الوردى اللون الذى اصطنعته .

حقا لقد اصابت صـــديقتى فيما رأت ! فقـد تراءيت بذلك الثوب باهرة ســـاحرة الرواء ورحت امسك فى يدى بمروحة يابانية مذهبة الحواشى ، وكان شعرى قد جف وراع .. ودق الجرس ...

وذهبت ففتحت الباب وبدوت حيـال الغلام ، وأخذ مشهدى عينه . فتراجع مبهوتا كأنما قد رأى شـبح حوريـة من بنـات السماء ..

قلت : أأنت .. طالب التجارة ..؟

قال : ارجو ان لا اكـون قد زعجتك بمقدمى .

وخيل الى انه قـد راح بى الماخوذ المبهوت ، وظننت دهشته تلك بعض حياء الشباب ، ولكن رعشة شفتيه ، دلتنى على ان ما به قد تجاوز حدود الدهشة والاضطراب ، فأخذته الى حجرة زوجى ورتبت لـه المنضدة كمـا يشـاء .

وراح يقول : ان ذلك منـك لجميل ، وهو منك طيب وكريم

وكان الغـلام فتان الطلعة ، غريب الملامح ، فى الربيع الثامن عشر ، ناحل البدن ازرق العينين مثال الحيـاء ، تطل من عينيـه نظرات حييات ، وفورات شعرية ما احسبنى رأيت منها يوما فى عيون الشباب !.

وكـانت عينـاه الزرقاوان لا تفارقان النظر الى وجهى

قلت : ايروقك المكان ؟

قال : احسبه كذلك ..

ووقفت انظم صفوف الكتب والاوراق فسـقطت احـدى جدائلى عـلى ذراعى العـارية ، فاستقرت عينه عليها لاتبرحها ولم يكن احـد غير زوجـى قد رآنى وانا بادية فى غلالة شفافة

كذلك . ولم اكن احسب انها تثير الباب الرجال . ولكنى عندما ادركت مبلغ التاثير الذى احدثه مشهدى مترائية بذلك الثوب الرقيق الفضفاض ، شعرت بشىء من فرح الاطفال ، فاصطبغ وجهى بلون الارجوان ، ولم املك نفسى من ان ابتسم ابتسامة مفعمة بالرقة واللطف . وان لم اخرج بها عن حدود الاحتشام .

وانثنيت اقول للغلام : انا تاركتك لتشتغل ، فان اردت شيئا فتعال اسالنيه فانى جالسة فى حجرة الاستقبال .

ومضيت من الحجرة ارفل فى ذلك الثوب النضير على عينيه ، وكان اولى بى ان اذهب فانضوه عنى ، واستعيض عنه ثوبا من الثياب التى ابتذلها فى البيت . ولكنى فى الحق لم أفعل ، وانما عدت الى حجرة الاستقبال فوقفت حيال المرآة اشد من حواشيه واهذب من ثنياته وتلافيفه واهز فروعى حول كتفى ، ثم رحت استلقى على المتكأ .

بالله !. منذ كنت صبية غرا لم يقع لى مثل هذا الاحساس الغريب الذى جال بنفسى ، وغمر لبى فى تلك الساعة . ذلك احساس متدفق فياض طاغى المد ، معتلج الاواذى ، بل احساس لا يكون الا فى اقاصيص السحرة وبنات الجان ، احساس تكتمه المراة عن كل مخلوق ولا تصفه لاعز صاحب وصديق

وجلست انصت الى دقات مفاتيح الآلة الكاتبة ، وتمثل عينى ذاك الغلام الوسيم المقسم ، فخلت كانى اتعاطى أفاويق عقار مسكر مخدر كنت اليه مشوقة لاهفة .

وفيما انا مسترسله مع ذلك الحلم اللذيذ الساحر ، اذ سمعت صوتا يقول : لا تتحركى .. فاذا لهذا الصوت رنة صوت العابد القانت لا احسب امراة تحلم بمثله من حبيب وامق جليل الحب مكتمل الولاء

وكنت اعلم انه ينبغى لى ان ارد الغلام عما هو آخذ فيه ، ولكنى لم اكن فى ماضى الحياة قد سمعت من فم رجل من اهل الدنيا صوتا حلوا كهذا عذب الاغريد !. . ... ..

ووقف الغلام يتامل شعرى الفاحم المرسل حولى ، وينظر مليا الى ثوبى المهفهف الشفاف لا يكاد يستر بدنى .

قال : اتاذنين لى فى ان اجىء واكثر المجىء ؟..

قلت : بلا ريب ..

قال : شكرا شكرا ..

وانصرف مسرعا لا يلوى على شىء ...

* * *

وكذلك جعل يجىء بانتظام ، وراحت صديقتى تحدثنا باخباره

قالت : ان اباه شيخ كبير فى بلد صغير بسواد الريف ؛ وقد نشأ الغلام وحيدا من الخلان فى كل بلدة ، واحسبه تعثر فى علة فاستطالت العلة به عاما كاملا

قلت : لا عجب اذا هو اليوم بدا ناحلا واهى البدن

قالت : اظنه قد عوفى من زمان بعيد وابل ؛ ولكنه فى الحق غلام عجيب ، بل دودة كتب ، كثير القراءة ، مكب على العلم . وان كان اهله يقولون انه يقرأ كتبا لا يخلق بمثله أن يتناولها .. حقا انه لغلام حساس شفاف العاطفة

قلت : انه ينظم شعرا

قالت : يا عجبا ! . اشاعر هو ايضا ؟. ولم تكن صديقتى تعرف ذاك عنه . ولكنه فى تلك الاصائل الثلاثة التى قضاها يتدرب على الاداة الكاتبة عندئذ لم يصنع شيئا سوى كتابة القصائد ؛ وكانت القصائد تكتب لى ، فقد جعل يجىء الى بها فى خجلة وحياء ، فكنا نجلس على المتكا معا ويروح هو ينشدنيها بنفسه ، وكان مجلسنا أبدا هادئا فى خلوة رقيقة على نسائم الاصيل ابان الربيع ؛ ولم اكن اجد رغبا فى الخروج من البيت ، ولا ارتقب زائرا يزور ، ولم يكن على عمل أؤديه حتى تحين الخامسة فانهض لتهيئة العشاء لزوجى قبل رجعته ، ورحت اجد مسرة

النفس فى الخلوة اليه ، والاستماع الى شعره وقصيده الحافل بوصف الجمال وشكاة الحب ، ووقف عند بيت يصف فيه لمسة يد المليكة الفاتنة فالقى يده على يدى وله اكن طيلة الحياة بالانسانة المجنونة العاطفة ، الخلابه لهوى ، فاردت ان اظل على خلقى هذا وعهدى ، فجذبت يدى فى رفق منه ، فتركها غير ملحاح فى امساكته ، ولكنه ظل يرنو الى يدى بين فترة واخرى ، فعل الطفل الحزين السليب من شىء حلو كان يطلبه فحيل دون .

والتهب خدى فى ذلك المساء عندما غادرنى غلامى الجميل ، ووقفت اتطلع الى وجهى فى المرآة .. يالله من بريق عينى وسطع نظرتى .

فى الحق ما شهدت لهما يوما ذلك البريق الساطع ، ولا عجب اذ راح زوجى يقول عندما عاد فى ذلك المساء : انت الوحيدة مشرقة الليلة يا طفلتى العجوز! . اكنت فى السينما ؟ .

فابتسمت لنفسى ورحت اوازن بين مسرة رؤيه مشاهد الصور المتحركة وبين خفقة الفرح الذى اجده . فتضاءلت تلك المسرة فى عينى وعفتها بجانب هذه الرعدة المسكرة التى تسرى منى فى انحاء البدن .

وفى المرة التالية جلسنا نتحدث فمضى هو يقص على طرفا من حياته الموحشة القفر من الانيس ، ويتكلم فى الحب ويقول انه ليراه شيئا غامضا جليلا ، ورائعا بديعا ، ذا دب الى النفس مالبث ان غمرها من جميع نواحيها .

فابتسمت لوصفه ونبأته اننى باحلام الحب عليمه .

فانفجر يقول لى : الله ! لقد كنت اشعر بانك ستدركين وتفهمين وانت المرآة الاريبة الجميلة البديعة الساحرة .

فكدت اضحك وجعلت اقول لصواحبى مابى ، واكاشفهن بما

وجدت ؛ ولكنى كدت ابكى ايضا ويهجم الدمع فى عينى؛ فقدنسيت اننى كنت بادى الراى احسبه غلاما مفتونا ، وقد راقنى ان اسمع احاديثه عن الاعجاب بى وعن الجمال وعن الحب ، وكان الغلام مفعم الفم بهذه الكلمات الكبار الجلائل ، وفى كل مرة راح يقولها كنت ادرك من نظرات عينيه اننى انا عنده المعنية بها .

وجعل يتناول يدى فى يده ، ولست ادرى كيف رحت اتركها له واصبر لها طويلا فى يده، وكان يمسك بها فى شىء من سذاجة الطفولة ، ثم لايلبث ان ينظر نظرة الطفل المتغلب على دموعه اذا انا حاولت ان اقطع عليه فيض احاسيسه بمحاولة اجتذابها منه

ولقد كان والله يتعبدها تعبدا، وكنت انثنى اضحك ، وتهتز نفسى اهتزازا اذا انتهت خلوتنا، متخيلة اننا كنا فى حلم ، ومضى الحلم .

ولكنى لم انبىء زوجى بما جرى ، فما كان يوسعنى ان اقف فيض هذه اللذة الجديدة التى مضت عندى أشبه شىء بعقار مخدر ادمنت تعاطيه وهيهات ان اكف عنه .

ومضيت أحدث النفس قائلة: لاضير من ذلك ولا بأس مادمت امرأة فاضلة ولن اعدو حد الفضيلة ، فليكن هذا اذن سرى الدفين الجميل .

وفى الحق اى جذل رحت اجده فى ان يكون لى عند نفس ساذجة حلوة حب بليغ واعجاب عظيم ولا يعلم الناس بأمرنا ، فلقد صغرنى هذا الخاطر عشر سنين وردنى مفراحا طروبا هانئة ، وجعلنى ابدو حسناء لاول مرة فى الحياة ! ..

وانثنيت أعمل بنصائح صديقتى فألبس المخمل والمهفهف والفلائل الشفافة واطيل الوقوف للزينة امام المرآة فعل الفتاة فى مقتبل أيام الشباب ، حتى بدوت فى عين هذا الفتى الناشىء أشبه شىء بالمليكات ! ..

وكان يقول وهو يتراجع خطوة ليتأملنى وأنا خاطرة نحوه :
يا مليكتى .

ثم يمضى فيجلس بجانبى جلسته الغريبة ، نصفها طفولة ونصفها عبادة ، وأحيانا يضع رأسه فى راحتى أو يسند جبينه الى كفى وينشىء يحدثنى بكل مايجول فى نفسه ويجرى فى خاطره وأنا سكرى بنشوة الحب .

قال يوما فى توسل ورجاء : دعينى انادك باسمك فحسب .

فضحكت من فرط السرور بان فى الدنيا مخلوقا لايزال يريد ان يناديني نداء الفتى للفتاة .

فتناول يدى فى رفق وتهيب العابد الخاشع وغمغم يقول :
يا غادة الجمال !

وطبع قبلة على يدى ، ومضى

وكانت أناملى لاتزال راعشة ، يدفق الدم خلالها حارا ملتهبا عندما ذهبت لاهيىء لزوجى طعام العشاء ، ولكنى لم أشأ ان استرسل مع زوق الحب ، وانما قلت لنفسى لا بأس من قليل من لذة بريئة عفة كتلك فى جو حياة صامتة خرساء فى ظل زوج لايعرف ما الحب .

وما خطر لى ان انظر الى هذه العلاقة الجديدة من ناحية الغلام ، أو أتدبر ماذا يكون منه اذا منعته بعد أن شجعته .

وكان الغلام متلاشيا فى حبه لى ، وأثار هذا الخاطر فى نفسى زهوا وأولد خيلاء ، عرفانا منى بانني رحت عنده شغله الشاغل ليل نهار ، وانني مانعته الاسترسال معى ورادته عن التمادى ، وانا على ذلك جد قديرة . وكانت تلك ولا ريب قسوة ، ولا تحتاج المراة فى سنى الى شىء من البراعة تحشده للتسلط على فؤاد غلام .

وجاء يوما يتوسل :

قال : البسى القميص الوردى اليوم فانت فيه أجمل وابهى .

ففعلت وجئته به بادية !

قال : دعى فروعك مرسلة ، بالله من شعر المرأة ! انه والله السحر المبين ! .

فجلست فوق المتكأ وجدائلى نائمة حولى ، والغلام جاثم عند قدمى .

وراح يتناول شعرى فرعا فرعا فيقبله عشرا ويتمسح به عشرا ، ورفع وجهه الى وجهى .

قلت حذار !

قال الا تسمحين لى بقبلة من خدك ايتها الفاتنة ، انى على القبلة فى لهف .

فألقيت يدى على كتفه فى رفق امنعه .

قال : اتمنعينى القبلة وانا ..

فأدركت اذ ذاك ان اعلان الحب قد وقف على شفتيه ... فهل تراتى مانعته عن المضى فى حبه ؟

نعم ، ذاك ما خطر لى فى تلك اللحظة ، فلم أحفل بألم الغلام من ذلك ، ولا بفجيعة نفسه .

قلت : سكوتا ! لاينبغى لك ان تتكلم .

فجعل يرعش الما وهو يقول : انا نازل على ماتشائين ! أفطاردتى انت من رحمتك ؟

وكنت اعلم ان ذلك كان اكبر واجبى فقد هتفت بى الحكمة وناداني الضمير أن افعلى ولاتترددى ، ولكنى كنت مثله راعشة راعده اخشى ان افقده فتذهب عنى فرحة الاحساس بحبه لى واعجابه بى .

وعاد يقول — وهو يقبل ذوائبى : انت لاتريدين منى ان اذهب ؟

قلت : كلا ! ولكن اكفف عن هذا

قال : لتكن مشيئتك ، فهل تبيحين لى جدائل شعرك اغمرها قبلا ؟

قال : اننى على القبلة فى لهف !

قلت : نعم ، لك هذا فحسب

وكنت لا ازال راعشةالنفس عندما ذهب ، فقد كدت أواقع المحظور ، واخترق السياج .

وظل يجيء تباعا ، وفى كل يوم نتمادى قليلا ، ففى المجلس تظل يدى ابدا فى يده ، وكان اكثر مجلسه يهوى عليها تقبيلا ، ثم يعمد الى جدائلى فيقبلها ، والى ثوبى والى ذراعى العاريتين فيلثم ماشاء ان يلثم .

وتفاهمنا على الحب بيننا وان لم نتصارح به ، ولم يكن احد فى المدينة يعلم بأمرنا .

وكان لصديقتى اربعة أولاد كبار ، وما كانت لتتصور ان غلاما فى مثل سن اكبر ابنائها ، يمكن ان يحب صديقتها التى فى سنها .

وكنت من ناحيتى لا افتأ اقول لها : ان الغلام يدأب على العمل ويكد له ، ولم أعد ادعو الصديقات الى بيتنا ، واعتذرت لهن بأننى آخذ دروسا فى فن التطريز ، وانى اخرج من البيت فى كل اصيل لذلك الدرس .

أما زوجى فقد راح يقول فى ذات عشاء : أحسب ذلك الغلام « معجبا » بك مفتونا .

ومضى يضحك فاكها .

ذلك اذن هو راى زوجى فى الامر ومعتقده ، انى اذن فى مأمن من كل فضيحة او خطر .

وعشت ايامى تلك فى فرحة غاشية ، اقضى ساعات الفراغ فى اعداد ثياب جديدة للظهور بها على الغلام اذا قدم ، وكان يجيء وانا أحيك الثوب الطريف فيتناوله فيقبل الكمين والصدر والنحر ويقول : أنا بتقبيل الثوب جد قانع .

ولكنه فى مرة ما قبل جبينى ، وفى مرة أخرى قبل مابين عينى .

لقد عشت فى سكرة مقيمة لا افيق منها وقد غادرتنى سن الاربعين ، فعدت شابة حارة الشباب ، اعيش فى قصة من

أقاصيص السحرة ، غير آبهة بان هناك غلاما يدفع ثمن ذلك من نجيع دمه وحشاشته ...

* * *

وانتبهت من سكرتى على حين غرة ، وصحوت من احلامى على صدمة عنيفة . اذ وجدت الناس قد أخذوا يتحدثون فيما بينهم عن علاقتى بالغلام وامرى معه ، ورأيت نظرة غريبة متهمة فى عين صاحبتى ، وسمعت خلسة غلاما يقول لصديق له وانا امر بهما : نعم ، هذه هى السيدة التى يصعد ذلك الفتى المعهود اليها فى كل أصيل .

لقد مسحت هذه المخاوف عن فؤادى هناءته ، فقد كان حلم الحب بديعا لذا ساحرا ، ولكنى لم أشأ ان اشتريه بسمعة المرأة المتزوجة ، وأحسب اننى لم أكن فى الحق احب الغلام لذات نفسه كحبى لذلك الاعجاب الغريب منه بى ، فلما رأيت لذة الاعجاب قد جعلت تختلط بألم الضمير ، أهابت بى النفس ان امسكى .

وقد قامت القطيعة بيننا فى ذات يوم كان فيه الغلام جذلان متوثبا .

قلت : دع شعرى لاتجذبه .

قال: لاتغضبى فاننى مهاجمك بحرب القبل .

فتولانى الرعب ، اذ ادركت انه قد تمادى فما أستطيع له ردا

قلت : لقد كان الذى بيننا حماقة الحمقى .

قال : حماقة ؟ . ياعجبا !

وتراءت فى عينيه نظرة مشدوهة كمن هو موشك ان تغشاه الغاشية وشعرت بأن موعد قدوم زوجى قد قرب فخفت واضطربت .

قلت : عد الى بيتك .

فراحت آماله وحنينه ومخاوفه ولهفاته تجتمع كلها على صفحه وجهه ، ولكنى لم ارع لها ولم احفل ...

لقد كنت خائفة ... أفكر فى زوجى القادم وأريد أن أختم الامر عاجلة ؛ فما كان منى الا ان دفعت الغلام فى رفق صوب الباب ثم اغلقته فى اثره ؛ وقفلت راجعة لا انظر اليه .

ولما عاد زوجى فى ذلك المساء رحت أمسك بالثور من قرونه .

قلت : ان ذلك الغلام قد أكثر من الترداد ليشتغل على آلة الكاتبة، افلا ترى من ذلك بأسا؟ قال : بل كل البأس ، انه غلام مضياع عاطل ، نبئيه يذهب ليبتاع له واحدة .

قلت : سأفعل !

فنظر الى نظرة حادجة قاسية وقال : وهل أحسن فى غيبتى سلوكا ؟

قلت : اجل ...

وسادنا سكون طويل ؛ وأدركت ان حلمى المسئول قد حار الى ختامه ، وان شبابى الثانى قد انقضى ... فعدت أقول : احسبك بى واثقا لاتخامرك بى ريبة ولا يساورك شك ؟ .

قال : يا عجبا ! اتخونيننى مع ذلك الغلام « المفعوص » .. ؟ !

فتألمت فى أعماق نفسى لرأى زوجى فى ذلك الغلام الذى نعمت به دهرا ، وخلته الوسيم المقسم، ولكنى ثبت الى نفسى فحمدت الله على اننى لم اقترف الاثم العظيم .

وفى اليوم التالى قدم الغلام، ولقد وددت لو اننى استطعت أن اكون به رحيمة وعليه حادبة، ولكنى كنت منه خائفة، وتراءى لى فى ذلك اليوم ضئيلا كما قال زوجى ؛ مريضا اعجف هزيلا .

قال : فاتنتى !

قلت : لقد كنت اهم بان أقول لك امس انه ليس من الحكمة ان تجىء الى هذا البيت .

فوقف يحدجنى بنظر مشدوه اليم ! .

ومضيت اقول : ان من رأى زوجى ان تقتنى لنفسك اداة كاتبة فذلك خير واجدى .

قال ويلتا ... !

وما كنت الى ذلك العهد سمعت صرخة مخلوق آدمى فى عذاب المحتضر ، فقد هزتنى صرخته تلك هزا ، ولكنى ناديت شجاعتى .

فقلت : ان كانت لك اشياء فخذها .

قال : ليس لى شيء آخذه .

ووقف ينظر الى وجهى مليا وهو جامد فى مكانه لاحراك به ، حتى لقد هممت ان أصيح من فرط الرعب الذى استحوذ على نفسى لمشهد عينيه الهاشتين ، وشفتيه الراعشتين ، ولما حاولت ان آخذ يده فى يدى لامساكة الوداع ، راح يضحك ضحكات مجنونة مرعبة ، وانثنى يقول : انك لكاذبة ! .. انك لكاذبة ! .. ودفعنى عنه وانطلق لايلوى على شيء ...

* * *

وبعد ستة اشهر من ذلك الوداع الاليم ، انتهى الى مسمعى نبأ ماجرى ، فقد اصاب الغلام داء دوى ، لايسلم المصاب به من شره ، ولما علم بخافية دائه اطلق النار على رأسه فكان من الهالكين!

وجاءت صديقتى تنعاه الينا فقالت : ان الغلام قد ترك لابويه كتابا يقول فيه انه سئم الحياة ويسألهما المغفرة .

ولكنى كنت عليمة وحدى بسر يأسه وسوء خاتمته . فلم يأخذنى احد بجريرة ولا حملت اصر نكبته ، وادركت رويدا اننى استخدمته لاشباع غرورى ومسرة نفسى ... فقتلته ! .

وكان والده هو الذى بصرنى بأثرتى المجرمة التى اودت بولده . له الله ذلك الوالد ، لقد كان رجلا كريما رفيع الذهن روحانيا لو ان غلامه عاش لمضى على سننه ، نعم ان الرجل من اهل الدين

ويرى ان المرأة المتزوجة ينبغي ان تكون فاضلة . وان فضيلتها يجب ان تكون عندها مطالع خصالها. ومن بعدها تاتى الرحمة والوفاء والحكمة وحسن الادب .

ولا تكون المراة امراه خير حتى تجتمع أولئك لها ، وكذلك مضى يعظني وهو يتحدث الى عن آماله الكبار التى كان يعقدها على فلذة كبده ، فقال لقد كان والدى سهل القياد ، سريع التأثر ، بحاجة الى الناصح المعين .

وسكت قليلا ليغيب السكين الى مقبضه فى صميم فؤادى، ثم مضى يقول : ولشد ماسرنى ان علمت من كتبه فى ذلك الحين ورسائله مبلغ اعجابه بك ، فلا شيء فى العالم هو اعظم سلطانا على نفس الغلام من صداقته لامراة كريمة اكبر منه سنا ، وكنت ارجو ان يجد عندك العون الذى كان بحاجة اليه ...

ولكنى بدلا من ان اعين ذاك الغلام .. . قتلته .. !

مضى « ت » الى بارئه منذ ليلتين ، وجئت اليوم منفذا وصيته اقص على الناس قصة حياته كما سمعتها من شفتيه قبل ان تتخرمه المنون منذ بضعة أيام .

وانى لاذكر الساعة كلمة حكيمه صادقة كنت قد قراتها فيما قرات عن الحب ، وهى ان الحب ليبلغ بامرىء ابعد آفاق الهناءة والنعيم ، أو يهوى بامرىء الى اسحق وهدات الشقاء والبؤس ، وكذلك كان نصيب « ت . . » من بؤس الحب وحرمانه من هناءته ونعماه ، وهو فتى فى مقتبل الشباب ، يكاد يكون غلاما فى طراءة الحداثة ، وقد لبث قرابة عام يتجرع غصص الحب ويسقى من صابه ، ويعانى من الامه وعذابه ، حتى ذهب آخر مطاف الاسى ومدار الحزن . . فى الهالكين الغابرين .

وكنت قد عرفت من قصته طرفا ، قبل ان يكاشفنى بها ، فمضى يحدثنى بطرفها الآخر ونحن جالسان فى ذات ليلة عاصفة نجد على النار دفئا وبهجة ضياء .

وانشا يقول : ارهف السمع لحديثى ايها الصديق ، لان الذى انا به محدثك الليلة ، هو آخر ما انا به متحدث ، فان هاتفا يهتف بى ، اننى على وشك الرحيل من هذا العالم ، وانا غدا عن هذه الدنيا ظاعن متحمل . . فاذا ذهبت يا صاحبى

فوصاتى اليك ان تقص على اهل الدنيا حديثى ليعلموا كم تعذبت . . وليدركوا ، فتكون عظة وتحق عبرة . .

والان : هانا ذا جئت اقص حديث حبه كما سمعته منه اخر مجلس لنا ، والعناصر متمردة ثائرة . .

* * *

الان وانا اقص عليك امرى ، يعود بى الخاطر واثبا الى ما وراء تلك الاشهر القليلة التى حسبتها الاعوام الرخية ، وخلتها من بطئها وتثاقل ايامها الحقب المستطيلة الوانية . لى لله من تلك الاشهر ، لكم حفلت بالاسى الممض ، والويل الحازب ، والحزن الكاسر للفؤاد ، ايام مضيت من عمل الى عمل ، ضاريا فى الافق التمس السلوة ولا اجدها ، وارجو البرء من البرحاء ولا برء منها ولا شفاء ، وانى لاسائل النفس اليوم من عجب وحيرة : اتراني واجدا القصاص على ما اقترفت يوم اقف امام بارئى ، ام ترى هذا العذاب الذى خضته هذا العام الذى انفرط ، والاسى الذى انا خائض بين عدوتيه على الاعوام القادمة ، سيروح قصاصا كافيا فى عين الله الذى يرعى الارض ومن عليها ، ويشرف على الناس اجمعين . .

وانى لتعرونى على الذكرى هزة ، وياخذ بانفاسى فى هداة الليل ، وسكون نامة الطبيعة ، ياس غلاب اليم ، فاود لو اننى ذهبت اختم حياتى بيدى ، ثم يمسكنى الخوف مما وراء هذا العالم ، وخشية ما اعد الله لنا فى الاخرة ، فامضى اذرع حجرتى ذهابا وجيئة حتى يوهن الليل ، وتبدو مطالع السحر ، فاتهالك على الفراش من فرط الاعياء ، فانهض للعمل فى بكرة النهار . كانى قد قطعت ما بين طرفى الليل وسنان العين نائما . .

منذ عامين وكنت قد جاوزت العشرين ، فارقت دار اهلى ، ونزحت عن موطنى ، كما يفعل اكثر الشباب ، فى طلب الرزق . والتمس لعمل ، فتقلبت فى اعمال عدة ، حتى استقر بى ختام المطاف فى مصنع كبير ملاحظا للعمل : وكان « ف . . . »

وهو فتى فى مثل سنى مساعدا لى فى عملى ، فما لبثنا ان رحنا صديقين وليين ، يجمع بين فؤادينا محض الولاء ، ويؤلف بيننا خالص الود

وكان ف .. ذا طبيعة جموح تنزع الى اللهو والمجانه كل منزع .. وكان يميل بعض الميل الى الشراب ، ويستطيب الجلسة الى الكاس ، وما كادت تنفرط بضعة اسابيع على لقائنا واختلاطنا فى عملنا وفراغنا حتى وجدتنى اعاطيه وشاربه ، ولم يكن اقبالى على الشراب رغبا فيه ونزوعا اليه ، وانما اردت ان اريه اننى على الشراب كذلك لقادر

ففى ذات مساء ونحن جالسان معا نشرب ونتسامر ، انشأ صاحبى يحدثنى قائلا : استمع لى ، ما بالك لا تحاول اقتناص الفتاة الممتنعة على القانصين ؟.

قلت : من عجب الفتاة الممتنعة على القناص !. يا لله !. ومن تكون ، وفيم امتناعها ، وكيف استحال قنصها ؟..

قال : هى فتاة فى هذه الناحية عزت على المغازلين ، وابت الاختلاط بالشباب واستكبرت على المتحببين ، فتاة تدعى « سوسن » وهى والله املح ظبيات المدينة وعذاراها الحسان ، ولكن لم يستطع احد حتى اليوم ان يخلص اليه ودها .. او يصيب منها موعدا للقاء

فهززت راسى هزة الساخر المستخف ، ومضيت اقول فى لهجة الاعتداد والخيلاء : اننى مراهنك على نى فاعل ، بل فى وسعى ان اجعل بينى وبينك عهدا اننى خاطبها وظافر بودها اذا حاولت

فضج صاحبى ضاحكا وصاح بى قائلا : ايها المزهو بنفسه ، المعتد بسحره وفتونه ، اتحسبك اوتيت على النفوس سلطانا ، ام تراك من الغواة الماكرين .. ؟ما هذا من شانك ، فان له اربابه ،

وله سحرته واساطينه : وانى معاهدك على اننى نازل لك عن راتب اسبوع كامل لو فعلت الذى قلت .

قلت : لقد رضيت رهانك . فهات ورقا ولنجعله بيننا موثقا ليكون اشد الزاما . واضمن وفاء

وكتبنا التعهد فى صورتين ، أخذ هو صورة ، وحفظت أنا الاخرى

وانثنى يسخر منى ويعبث بى قائلا : والان يا سيد روميو ، بل يا امير العشق والعاشقين . صن فؤادك واحذر لهجتك ، وراقب الله فى حشاشتك ، فان اخوف ما اخافه عليك ان تسقط اسير حب . وتقع من جمالها فى شراك فتكون من الهالكين

وكان اهل « سوسن » يقيمون غير بعيد من شاطىء النهر حيث كنا نشتغل فى تركيب آلة رافعة لرى وسقى . ففى غداة اليوم الذى تلا يوم الرهان ، وقعت عمدا الجرة التى نحفظ فيها الماء لشربنا ، وذهبت متشفعا مستسقيا الى دار أهلها معللا النفس بنظرة منها أبلو بها الامر الذى انا له ، واعد له عدته .. ..

وكان التوفيق رائدى اذ لقيتنى « سوسن » نفسها لدى الباب .

قلت : جئت مستسقيا ، فهل فى قليل من الماء تاذنين ؟ فان ماء النهر لا يطيب للشاربين .

قالت حبا وكرامة ، وابتسمت

ويح النفس من ابتسامتها !. لقد كانت افتن ابتسامه شهدتها على فم حسناء

واردفت تقول : تعال لأريك موضع البئر ..

وكانت البئر على مرمى الحجر من البيت

وفيما نحن نمشى اليها ، قلت مغريا بالحديث : ان اليوم لجميل

قالت وفى صوتها رنة الاسى والحنين : هو كذلك ، وان أيامنا

هنـا لتثير فى النفس الحنين الى البلد الذى جئنا منه

قلت ومن اين انتم

قالت من الاسكندرية

قلت من عجب ودهشة : ماذا أسمع ؛ أمن الاسكندرية انتم ؟ وفيها موطنى ؛ ولديها دار اهلى وقومى ، فمـن اية ناحية منها جئتم

قالت : مـن جنـوبها ، أراك تعرفها .

وتهللت أسـارير الفتـاة

واسترسلت تسائلنى قائلة :الا حدثتنى عنهـا ان كنت قـد جئت منهـا منـذ حين قريب ؟فقد انفرطت علينا اربعـة اعوام سويا ونحن عنها فى بين أليم . . .نبئنى متى كان آخر عهدك بها ؟

قلت : غادرتها منذ ستةاشهر فقط وانا أدعى « ت »

فصـاحت فرحـة متهللة :ياعجبـا ! السـت فى دهش من لقائنا ونحن اهل بلد واحد فى موضعنا هذا ، فهلا اقمت حتى يجىء ابى ؟

وفى عودتنا من البئر استبقتنى مسرعة تنادى اباها الى الخروج وما هى الا لحظة اخرى حتى ارتفع لنا شيخ ضعيف يتـكىء على عصا ، وكان لايزال فى دور النقاهة من مرضه

فابتدرته الفتاة قائلة : ابتاه،اقبل للسـلام على ضـيفنا انه يشتغل على الشاطىء فى تركيب الآلة الرافعـة وهو مـن اهـل الاسكندرية

فجعل الشيخ يقول : اهـلا ،ومرحبا ، وهو يمد يده مصافحا وادركت من حديثه انه معروف فى الحى الذى نشأ به وماجاوره

وما لبث الحديث ان مال بنا نحن الثلاثة الى عدة شئون ، فلم انتبه منه الا على صفير الصافرة المنبعثة من الآلة الرافعة ، ايذانا بالظهيرة ، فأسرعت الى الجـرة فاحتملتها وصحت اقول : يالله !

لقد تأخرت عن الجماعة واخشى ان يرجمونى اذا انا اطلت الغياب ...

وانثنى الشيخ يقول - وقد رآنى اهم بالذهاب : ارجو ان لاتقطع عنا زيارتك

واردفت الفتاة على قول ابيها : نعم ، زرنا فى اى وقت يحلو لك

وفى طريقى الى موضع العمل ، نسيت الرهان كل النسيان ، ورحت اردد بينى وبين نفسى قائلا نعم ، سأزورها قريبا ، واني لاعود بالذاكرة الآن الى ذلك اليوم الذى لقيتها فيه على تلك الصورة فلا اذكر ولا اشهد بعين الخيال غير عينيها الجميلتين السوداوين وهما تتحدثان بأبلغ منطق قائلتين : اننى احبك !

* * *

وفيما انا مقبل على المضارب سمعت صوت صديقى « ف » يصيح قائلا : اين كنت يارجل طيلة الضحى كلها ؟ افلجر ذهبت تملؤها تطيل هكذا الغياب ، عجبا لك ! اكنت تحتفر بئرا لتعود بالجرة من مائها حافلة ؟ ..

فتلفت فى نواحى المضرب مستوثقا ، فلما لم ار احدا معه ، رحت اجيبه قائلا : كلا ياصاح ، لقد كنت عند « سوسن » بعد ان ملأت الجرة ، حقا ايها الصديق انها لفتاة ساحرة آية الملاحة

فوثب صديقى من مكانه فأمسك بتلابيبى ومضى يهيب بى قائلا : ماذا جرى لك ، وما الذى أصاب شغاف فؤادك ؟ ماكنت والله احسب الامر صائرا فى يوم وليلة الى ما ارى الساعة والمح على صفحة وجهك ، اكذا هو الحب من اول نظرة ؟ ...

ولقد اصاب صديقى فى تسميته ماكان بى « الحب من النظرة الاولى » ، لقد كان ذلك كذلك ، وكانت النفس به من اول وهلة مفعمة

وما هى الا ايام معدودات حتى وجدتنى اقضى كل ايام الفراغ فى

ورأيت شبح ((سوسن)) طالعى فى ثوب أبيض كالضـــــياء

دار« سوسن »نلعب حينا الورق: وحينا نذرع البستان النضير متمشيين متنزهين ، وفى البستان كانت خميلة من اغصان الشجر ، وهناك اعتدنا ان نجلس الساعات فى خلوة ساحرة ، نتحدث ونستمع الى خرير النهر الفياض

واحزناه ! .. انى والله لاازال الى الساعة اسمع خرير ذلك الماء الثجاج المتدفع ، ولكنى اتبين من خلاله نغمة حزينة ورنة اسى ، تمزق نياط الفؤاد ...

وفى ذات ليلة ، ونحن فى مجلسنا ذاك ، والقمر يرسل ضياءه الفضى المتراقص المتلألىء فوق صفحة الماء ، رحت اتناولها بين ذراعى واهمس قائلا : سوسن .. اننى احبك .. يا اغلى النساء ... الا عدينى انك بالزواج منى راضية

فهمست هى ايضا بصوت عذب رقيق ، ودموع الفرح تتحير فى عينيها : ! لك عندى مثل الذى لى عندك ويزيد ، ولن تطيب لى الحياة الا بك ، لاننى احبك من اعماق قلبى ، بل لقد احببتك منذ اول يوم تلاقينا ..

وكذلك جلسنا ساعة كاملة فى مكاننا ، نتحدث فى امر المستقبل ، ونرسم له خططه ، ولما اختفى القمر عنا خلف اغصان الشجر ، واعالى الدوح ، عدنا ادراجنا على مهل الى البيت

قلت وانا اطبع قبلى على خدها : طاب ليلك ياسوسن العزيزة ، وساجىء مساء غد لنذهب بالنبأ الى ابيك معلنين

* * *

اواه ... لقد كانت تلك ليلة آخر عهدى بالسعادة الحقيقية ، فقد تلقيت ضحى اليوم التالى كتابا منها ، ففضضت فى لهفة غلافه ، واذا بتلك الورقة التى كتبت انا وصديقى «ف» فيها العهد والرهان قد سقطت من جوفه ، وفى جنة الملتاث المذهوب اللب رحت اقرا ما كتبت سوسن فى تلك الرسالة ، فاذا

هى تقول : لقد برح الخفاء وحصحص الحق ، فقد عثرت بهذه الورقة فوق ارض الخميلة .. وافؤاده ! .. ما الذى غرك بى حتى مضيت تلهو بفؤادى وانت العليم بمبلغ حبى لك ، لقد ربحت رهانك ! ولكنك اضعت فؤادى ... وداعا ... »

فما كدت آتى على هذه الكلمة الاخيرة ، حتى اندفعت فى وحشة وجنون أريد دارها ، فوجدت الدار قد اقفرت من اهلها ، فانتمست الجيران اسالهم عنها ، وعن ابيها ، فقيل لى : اما الشيخ فقد ذهب الى المدينة ، وامافتاته فباقية ، ولعلها قدمضت تتنزه فى الحقول

فكتبت اليها رسالة اشرح لها الامر ، وابين ، ودسست الكتاب من تحت عقب الباب ، وانكفأت شارد اللب ، ذاهل الخاطر ، عائدا الى حجرتى ، فتهالكت على المرقد باكيا ، وجعلت اغالب الدمع الواكف المنهمر فلا اقدر ، ورحت اغمغم لنفسى والهف ناشجا : سوسن .. سوسن ... انى احبك ... الا صفحا ومغفرة ، وتقبلى الشفيع ، وارتضى العذير

ووجدنى صديقى «ف» على تلك الحال بعد فترة قصيرة فبهت مما راى ، واقبل على فالقى ذراعه فوق كتفى ، وقال نبئنى ماخطبك فانى على الخطب معوان

فانشأت فى منطق عاثر ، وبلسان متلعثم ، اقص عليه ماجرى ، وكيف سقطت الورقة التى تعاهدنا فيها على الرهان منى وانا لا أدرى ، فعثرت هى بها ، فلفظتنى وتولت عنى غير مستأنية لشرح ، ولا ممهلتى لبيان .

فجعل ذلك الصديق يواسينى ويربت ظهرى بيده ، ويقول لاتخف ولا تحزن ، فاننى ذاهب اليها فى هذا المساء فشارح لها حقيقة الخبر ان لم تكن رسالتك قد ادت الغرض احسن ادائه ..

ولبث بجانبى اصيل ذلك النهار كله ، لايكف عن مواساتى ،

والمتسرية عنى ، حتى ادركنا المساء ، فودعنى وانطلق الى غايته .

ولكنه مالبث ان عاد يقول انه لم يجدها فى دارها ، فماكدت اسمع النبأ حتى هجس بنفسى هاجس اليم ، وخفت ان يكون هذا النبأ مطلع الاسى ونذير المصاب

وساورنى القلق فلم اطق جمودا فى مكانى ، ولم اجد روحا الى النوم أو اجدها واعرف اين ذهبت

فخرجت تحت جنح الليل امشى على غير هدى كاننى شبح من الاشباح هائما فى بهرة الظلام على وجهى ، حتى رآنى الصباح واقفا بباب بيتها ولا يزال الباب موصدا .

فعدت ادراجى الى حجرتى متعبا واهنا ، فالتمست النوم من فرط الاعياء ، ورأيت فيما يرى النائم ، كان نورا باهرا قد غمر الحجرة وشبح « سوسن » مطالعى فى ثوب ابيض كالضياء ، وهى مادة ذراعيها كانها تنادينى ، ثم مالبثت الرؤيا ان اختفت ، فصحوت من النوم ولا ازال اسمع كلماتها وهى تقول : اننى احبك ... ولن تطيب لى الحياة الا بك ...

يالله ! . أتراها تنادينى لاشرح لها ماخفى من امرى وما احتجب؟

واسرعت الى ثيابى فارتديتها وانطلقت الى دارها ، فلم أجد فيها اثرا لمخلوق حى . فعدت الى صديقى فما كدت أدخل عليه حتى وثب صائحا : ! اراك قد عدت . فهل علمت وهل سمعت ؟ .

قلت مبهوتا — وقد رأيت وجهه ممتقعا : ماذا ترتقب منى ان اسمع ؟ . نبئنى ، أمن جديد انتهى اليك نبأه ؟ .

قال : تعال اجلس الى أحدثك .

وكان صوته هادئا ، وان كان فى منطقه رنة نكرتها .

فهمست اقول : أعنها أنت محدثى ؟ . انها ليست . . .

فنكس رأسه وغمغم يقول : لقد غادرت هذا العالم ! ..

واحسبنى فى تلك اللحظة قد غشيتنى الغاشية ، لاننى مالبثت ان رأيت ذلك الطيف فى ثوبه الناصع الجميل طالعا على مقبلا ، ولكنى سمعت صوت صديقى يناديني ، ففتحت عينى ورحت أستمع له غائب الذهن مشرد الخاطر ، وهو يقص على كيف كان موتها .

قال : لقد وجدوا جثتها طافية على صدر النهر ...

وقضيت أياما جاثيا بجانب ذلك القبر الجديد المحتفر ، غير مغالب العبرات التى مضت تسح من العين سحا ، وانا أناديها : .. يا أعز الناس ألا تعودين ؟ . ان لم يكن لك عود فلى اليك ذهاب ...

هذه هى قصتى ، فلا عجب اذا انت رأيتنى قد عدت حطاما وشنا باليا ، وانا فى الثالثة والعشرين ، واذا أنت أدركت اننى على الموت ملتهف ، فان فى أعماق فؤادى هاتفا يهتف بى انها قد غفرت لى وانها بتلك الابتسامة الساحرة التى لقيتنى أول مرة فى هذا العالم ستلقانى بها وشيكا يوم أغادره ...

* * *

ولنعد الى ماقلت فى صدر هذه القصة :

لقد صعد « ت » منذ ليلتين الى بارئه ، وكان صديقه « ف » ساعة المحتضر عن يمينه ، وكنت أنا عن شماله ...

واحسبه مضى سعيدا قرير العين ، اذ كانت كلماته الاخيرة : اى « سوسن » ! . ها انذا قادم .

ولما سمع الشيخ « د » والد الفتاة بموت « ت » ، ابتسم ابتسامة حزينة ، وغمغم قائلا : نعم ، هما اليوم سعيدان ! .. وعملا بوصيته ، وبرضى أبويه ، دفن الشهيد الراحل بجانب رفات الشهيدة الراحلة ...

ترددت قليلا قبل ان اقدم على سرد هذه القصة ، ولكن الان لا باس من قصها ولا ضرر ، نعم .. لقد كنت مجرما ، ولن تجد من بين معاشر المجرمين خلقا كثيرا يرفضون الاعتراف ، او يحدثون الناس بقصة حياتهم ، ولكنى اليوم قد عدت رجلا شريفا ، ولعل فى اقدامى على التحدث عن الماضى حافزا لغيرى من المكدودين الى التماس عيش الفضيلة ، ومعينا لهم على تنكب طريق الجريمة ..

نشأت نشأة شيطانية ، ونبت أسوأ منبت ، ودرجت ونموت وشببت عن الطوق ، فى احقر اكواخ الفاقة والبأساء ، فى بلد عامر آهل ، اشتهر بأنه شر مافى العالم من مدائن ، فلا عجب اذا انا من بكرة العمر قد سرقت ، وكانت سرقاتى الاولى من عجلات اليد والباعة الجائلين بسلعهم على صغار المركبات ، وكان ذلك أمرا طبيعيا ، اذ لم يكن لى عمل آخر أعمله ، أو صنعة اسلك نفسى فيها ، واذ رأيت اللذات من الايفاع والمراهقين يفعلون ذلك ، ويتضاحكون له ، ويتنافسون فيه

ولما بلغت السادسة عشرة ، اتفق الصحاب جميعا وتضافر رايهم على ان لى مستقبلا زاهرا فى عالم السرقة والسراق ، فقد استطعت فى ليلة من الليالى ان اتشل خمسين جنيها من جيب رجل جلس مع الشرب فى بعض المواخير .

وبذلك المال مضيت فاقتنيت أبدع ثوب فى السوق وجدته ، وابتعت للثوب مايتسق له من زينة ؛ ويقتضيه من مظاهر النعمة، وغضارة الحال، وذهبت من غدى فدخلت على جمع من ناشئة اللصوص يؤلفون عصابة للنشل والسلب ؛ وكانوا يتوافون الى حان تنتظمهم فيه موائد الميسر حلقات، فقبلونى فى زمرتهم ومضيت من ذلك الحين أعرف فيهم بصاحبنا «تاجر القماش» وهى كنية اطلقوها على لحسن بزتى ، وجدة ثيابى

ومضت بى الحال كذلك اربعة أعوام ، نشالا أوضع فى السرقة وتمادى فى الجريمة ، وسدر فى غلواء الشر والاثم ، وكانت العصابة التى أنا منها تدعو نفسها « جماعة أبناء الشوارع » وقد أخذت وشيكا تشتهر فى المدينة، ويتسامع الناس بأفانين سرقاتها

ولم نكن الى ذلك العهد قد أتينا عملا كبيرا من اعمال السرقة، اذ كان شعارنا « الصيد السهل والفرار المضمون » وكانت حلقات الميسر منتجعنا ، وأندية القمار المرتاد الذى نروح اليه ونغدو .

وكان لنا ناد يضم افرادنا ، وهو حجرة استأجرناها فوق حانوت بدال ، نتلاقى عندها ونتواعد اليها ، لنختط الخطط، ونقرأ من الكتب وأسفار الادب وقصص ابطال اللصوص ونوابغهم

وكان منا فتية اشتهروا بتعاطى العقاقير، وأدمنوا الشميم، ذاك السم الذى اصطلح بغاته والمولعون به على تسميته «الجليد الابيض» ففى جلسة لنا وقد طاف الشميم ، قال قوم منا انهم قد علموا ان حلقة من لاعبى البوكر ستنتظم فى ذلك المساء بالذات ، فى احدى قاعات فندق كبير فى المدينة . وسيحتدم اللعب ويشتد الجزاف بالرميات الضخمة . لان القوم جميعا من الاغنياء والسادات ، فاقترح الجمع ان نذهب الى ذلك الفندق، ونتغفل اللاعبين حتى تواتينا الفرصة فنشهر عليهم المسدسات ونختطف مابين ايديهم من ركام الاموال ، ونلوذ بأذيال الفرار آمنين .

ومضينا نرسم الخطة ، وندبر التدابير ، واتفقنا على ان يكون لقاؤنا اذا انتصف الليل ، بمكان قريب من الفندق ، فاذا توافينا افترقنا ، ودخلنا وحدانا من باب الخدم ، بواسطة مفتاح مصطنع، ولقد كانت هذه الخطة فكرتي المبتكرة الرائعة ، ولا فخر ، وقد نجحت هي واخفقت انا واقتنصت، اذ بينما كنت مسرعا في الطريق وقد الممت على المكان الذي ضربناه للملتقى ، داخل الريب احد الشرطة فمشى نحوي واوقفني عن المضي في طريقي حتى يفتشني ، وكنت احمل مسدسي ، فزاده ذلك ريبة بأمري واستاقني الى المخفر . وخرجت العصابة من تلك الغارة موفقة ، ولما كان الشرطي قد قبضني وانا قريب من الفندق ، وقد حملت سلاحا دسسته بين اثوابي ، راح الشرطة والمحققون يجمعون من ذلك ما شاء لهم من القرائن والبينات ، ودفعوني الى القاضي فحكم علي بالسجن عامين

وقضيت المدة في عذاب والم ، وحاولت العصابة مساعدتي على التماس الهرب ، ولكني لم اجد له سبيلا، وزادني عذاب المحبس على الدنيا نقمة ، ورأى اصحاب السجن بوادر التمرد مني والثورة . . فشددوا على الرقابة ، حتى اتممت المدة كلها غير منقوصة شيئا لحسن السلوك .

ولما رأيتني بعد ذلك حراطليق سراح ، شعرت كان حجرا ثقيلا قد ازيح عن صدري . ولكني كنت على الانسانية ساخطا ، فاقسمت لاثارن لنفسي من المجتمع ، ولارين العالم كيف تكون ترتي وشري وضري .

عامان . . ذلك والله دهر طوال ، ولكنه في غيابة السجن هو الابد وقد عرتني منه في اول مقامي به نوبات سآمة وغضب ، ثم ما لبثت ان اخذت في قراءة الكتب ، وانتهى بي هذا التلهي الى حبه والى الشغف بالمطالعة . ومنذ ذلك الحين ، جعلت اقضي ساعات الفراغ في السجن قارئا مكبا على الكتب ، ووجدتني

تعلمت الشيء الكثير ، واصبت قسطا من العلم . فاخذت في بعض الاحيان اسائل نفسي : الم يجد على هذان العامان احسن الجدوى ، ويردا على خير مرد ، وقد نفعني السجن من حيث لم أحتسب ولم أرتقب ، ولكني كنت لا البث ان انفي هذا الخاطر من ذهني . والقي هذه الفكرة جانبا . فلا عجب بعد ذلك اذا انا رحت بعد اطلاق سراحي ، انتجع نجعاتي الماضية ، واعود الى الصنعة القديمة !

وكانت العصابة قد تغيرت وتحولت ، واصبح افرادها في ذلك العهد ضحية المخدرات ، وفرائس لذلك السميم الابيض ، وامعنت في البغي والعدوان . واضحت لا تتورع من القتل في سبيل السرقه . وكان لهم محام يجزلون له العطاء في سبيل المرافعة عنهم امام القضاء ، واحسبه كان يتلك الاموال التي راحوا يغدقونها عليه خليقا حريا ، لانه لم يدع احدا يذهب الى السجن بقوة خطابته ، وغريب دفاعه . وهو عالم عالم بأمرهم ، لا تخفى عليه خافيتهم .

وما كادت تنفرط عشرة ايام على يوم سراحي ، حتى ركبنا سيارة ضخمة نقصد بها الى بلدة صغيرة على مسيرة ثلاثين ميلا من المدينة ، وبدانا السير في الحادية عشرة منتوين ان نبلغ البلدة ظهرا ، ونحن معتزمون ان نهاجم مصرفا هناك فنسلب امواله .

وهنا كان مدار الطريق . ومفرق السبيلين . سبيل الشر وسبيل الخير .. نعم في هذه المرحلة كان خلاصي من عيشي الماضي ، وتطليقي حياة الجريمة والآثام .

وليكم كيف كانت الاعجوبة :

وانا لسائرون بسرعة ثلاثين ميلا في الساعة ، وقد قطعنا نصف الطريق الى الوجهة المقصودة ، اذ اخذ صاحبنا الذي يتولى عمل السائق ، يخفف من سرعة السيارة فجاة وصاح

بنا قائلا : « على الطريق ظبية مليحة. فما قولكم فى اقتناصها »
فنظرنا فاذا على قيد خطوات منا فتاة فاتنة المحيا قادمة صوبنا ، واصاب اقتراح « السائق » كل القبول من الجماعة ورقصوا له طربا ومجانة .. وما كادت السيارة تدلف بنا جانب الطريق امام كوخ مهجور حتى وثب منا فتيان الى الارض فتقدما نحوها . فانزوت الفتاة منهما خوفا ورعبا ، فصاح احد الزملاء من السيارة قائلا : القيا بها فى السيارة فليس لدينا من الوقت فسحة لهذا العبث

وسمعت الفتاة كلمته تلك فاوتد محياها فى صفرة وجوه الموتى وقبل ان يضع الفتيان ايديهما عليها مضت فى عويل ونحيب ..

* * *

فى تلك اللحظة لست ادرى ماذا حدث لى ، وما الذى اختلج فى صدرى ، وسرى فى اطواء نفسى ، ففى خطف البرق نزلت من المركبة والمسدس فى يمينى ، فلم يكد الفتيان يريانى على هذه الصورة حتى تراجعا مسندين ظهريهما الى السيارة ، رافعين اذرعهما فى الفضاء ، ووقفت حيال الجمع اصيح بهم : ياعصابة السوء وجماعة الشر واللؤم ، هذا فراق بينى وبينكم ، البدار الى الرجوع من حيث اتيتم ، ولا تحاولوا خطة انا مدبرها ، لاننى الساعة عليكم مفسدها ومنبىء اهل المصرف المالى بنبئها .

ووقفت حيال السيارة والقيت الى السائق الامر بالدوران ، وجمدت فى موقفى حتى رايتها قد دارت عائدة من الطريق التى منها اقبلت ، وتلقيت من الجمع بضع نظرات شريرة كظيمة ، ولكنهم كانوا بى عالمين ، وكنت انا بجبانتهم وخوفهم جانبا عالم واعرف

ورايت فى عينى الفتاة بريق الفرح بالنجاة يسطع ، ووجهها المليح يسترد ورده ، ويشرق بعد اكفهرار ويلتمع ، فكان ذلك خير الجزاء ، وكان ابدع مستعاض عن تلك النظرات الشنيعة النكراء

وانثنت تقول فى رفق شكرا .. ولم ترد ، ووقفت تتبع السيارة بعينيها فى صمت

وانتبهت بعد ذلك من غشية الموقف المباغت ، فوجدتنى مقتعدا الارض والفتاة تمد الى يدها لتنهض بى

قالت : أخف مابك

قلت فى ضعف وتخاذل : نعم ، وما كان بى من أولئك الادنياء غير الم الاشمئزاز ساد مشاعرى وذهب لحظة ببعض قوتى

وسكت هنيهة ثم عدت بدفع غريب تولانى أقول : فهل ترينى اشبه أولئك انسفلة فى شىء ، وهل فى وجهى ما فى وجوههم ، وعليه من السمات سماتهم . ؟

فانثنت تجيب فى شىء من الاحتجاج ، والغضب الحلو البديع : كلا ! ما انت منهم ولاهم منك فى قليل ولا كثير ، ولايخفى هذا على من به مسكة من العقل ، وعين تنظر وتتبين ، واكبر ظنى انك عن خطا وجهل بهم ركبت مركبهم ، واحتواك عن غير بصيرة مجلسهم ، ولقد كان هذا الخطا من حظى ، وبفضل هذا الجهل بهم كنت نجاتى من شرهم

قلت لم اركب مركبهم عن جهل ، ولا كنت رفقتى لهم عن غير بصيرة

ورحت اقص عليها قصتى ، ووجدت فى الاعتراف راحة ، وشعرت من مكاشفتها بتاريخ الماضى بسرور لايوصف

فلما سمعت قصتى ، هزت رأسها فى اطراقة المعتبر المتأثر ، وانشأت تقول : لقد احسنت صنعا بهذا الفراق الذى آذنتهم به ، واليوم انت مستطيع ان تبدا الحياة من جديد متناسيا ماكان من ماضيك كأن لم يغن بالأمس

وسكتت لحظة ثم عادت تقول : وخير ما تفعله الساعة ان تجيء معى الى البيت لتتناول الطعام وتقضى ساعة من الزمن تفكر وتقطع فيما انت معتزم من أمر مستقبلك

وقبل ان اجيب ، تناولت ذراعى واجتذبتنى الى الطريق سائرة بى صوب دارها

* * *

وكنت قبل ذلك العهد لم اخبر النساء ولم يكن لى بهن شأن ، ولكنى فى تلك اللحظة لم استطع ان امنع نفسى النظر الى هذه الحواء الصغيرة ، وتأمل وجهها المليح ، على رغم انها لم تكن تعدو شأو الطفلات الغريرات

وقدرت انها فى الربيع الثامن عشر ، ورأيت لها شعرا اسود جثلا اثيثا كثير الامواج ، وعينين سوداوين ضمنتا غنن فرط احساس ، شفافتى الزجاجة ، ملتمعتى النظرات ، وانفا دقيقا حسن التركيب ، وفما حارا لم يخلق لغير القبل

ورحت اتصوركم كان يكون هنائى لو انى لقيت فتاة كهذه قبل عهدى هذا ببضع سنين ، وان خير لك سيرة على لقائى بها ، واى فضل على استمده من حبها والبناء بها

ومضت على الشقة البعيدة الى دار اهلها ، مسرة ميل وبعض ميل ... تقص على الكثير من شأنها ، وتحكى لى عن نفسها ، فاذا هى تعيش مع اخ لها فى اكناف جدة لهما كفلتهما منذ سنتين ، عقب وفاة ابويهما فى مطاح احدالاوبئة وادركت من خلال حديثها انهم فى وافة ورفة حال وان لم تذكر ذلك ولم تجهر به ، فقد كانت الفتاة فخورا مزهوة شماء

وعلمت ايضا ان لتلك الجدة ارضا ورثتها عن زوجها ، فهم يعيشون جميعا من غلة تلك الارض وحصادها ، وان اخاها حدث فى طراءة العمر ، لا يستطيع العمل فى المزرعة ، ولم يؤت علم الزرع والحرث ، وان جدته واخته تلتهفان على بعثه الى

ففى خطف البرق نزلت من المركبة والمسدس فى يمينى

المدرسة ليتلقى شيئا من العلم يجدى عليه فى مستقبل أيامه ، ويهذب من حواشيه . ولكنهما لم تفعلا وتخشيان الا تفعلا ، لانهما تحتاجان اليه فى رعاية شئون الحقل جهد المقل

* * *

وقدمتنى الى جدتها ولباتها بما جرى على الطريق ولم تذكر من فضلى شيئا . فشكرتنى العجوز اوفر الشكر . وكانت تلوح بمعارف وجهها المشرق وفروعها البيضاء فى السنين . ولم تفعل السنون شيئا فى طلعتها الناضرة

وكانت الساعة قد اقتربت من الواحدة ، فقالت الفتاة اين اخى ياجدة ، لقد وجب الطعام وتهيأ فأين تراه ذهب يغشاك هذه الغيبة .

فانتشر على وجه العجوز قلق وخوف ، واجابت قائلة : لقد ذهب ياغاليتى الى المرعى لافقد السور حوله ولما يعد . وقد ركب الجواد واخشى ان يكون قد اصيب بسوء .

فانتظرنا لحظة اخرى ولما لم يعد وأوجست الجدة وحفيدتها من غيبته خيفة عليه . تطوعت الى الخروج لافتقاده .

فانطلقت الشمس الحقل . وكان يرامى خلف البيت . وفى طريقى تبينت ان الزراعة لم تكن فى حال حسنة على فرط اجتهاد اليد المشرفة عليها ، فقد كان شيء يتراءى نظيفا ، يشعرك السلام والسكون اللذين تعرف اثرهما فى جو الدار ، وتحسهما يملآن افقها .

وما كدت اسير شيئا بعيدا حتى سمعت صيحة الفتى وكان قد كبا به جواده فرض احدى قدميه

فاحتملته الى لبيت . وكان غلاما لم يدرك الحلم بعد ، وقد نبأنى وانا محتمله انه فى الثانية عشرة ، ولكنه كان شجاعا جلدا ثابت الجنان ، فلما سقط سقطته تلك لم يرفع بالصياح عقيرته ، ولم يملأ الجو بعويل او يستصرخ لينادى الناس اليه ، وانما بقى فى

موضعه ساعتين صابرا يرتقب احدا من السابلة ، فلما اعللت نادانى اليه

وخشيت اذ دخلت به البيت ان تسقط جدته من فرط التأثر والخوف عليه ، ولكنى رأيتها قد استجمعت بقية جلدها فصبرت لمشهده وتجلدت ، والفت اخته ترتعش وترتجف من خيفة عليه وكان الغلام رجلهما الذى يعولان فى الحياة عليه ، ويركنان فى طلب العيش الى قوته

* * *

وجاء الطبيب وذهب ، وجلسنا الى طعامنا على الاصيل ، وكانت جلستى اليه ، اهنأ ما جلست فى الحياة الى طعام ، وكانت الوجبة أشهى وأعذب ما وقع لى من مأكل على مائدة

وادركت حاجتهما الى النصير وافتقارهما الى الولى المعين فعرضت عليهما البقاء للعمل فى ارضهما ، وكانت الزراعة فى اشد الحاجة الى الرعاية فى ذلك الموسم ، وقد كنت فيما عرضت من امر البقاء مطاوعا حاسة جديدة سرت كهرباؤها فى النفس وهى لا تدرى ، وكانت تلك الحاسة ببوادرها ، تلك الغامضة الخفية قد تكشفت لى بعد ذلك ببضعة اشهر ، فاذا هى ... الحب !

وقالت فتاتى وهى تبتسم ابتسامة الشاكر للصنيع : جميل منك هذا الذى تعرض وكريم محمود ، ونحن نقدره قدره . ولكننا لا مال لدينا نوفيك منه حقك واجر عملك

قلت لست احسبنى استحق كبير اجر ، على ان لى فضلة من مال استعين بها على ما اريد الى اوان الحصاد فانال يومئذ اجرى

وكذلك رضيت منى بالبقاء ، اذ رات فى البقاء نفعى ونفعهم

* * *

والآن لا يزال فخار الفتى ببراعة زوج اخته فى الزراعة

وحسن القيام على الحقـــل ، وتحدثه فى المجـــالس عن طيب الثمر ، وازدهار الحصاد ، الى غير ذلك من الباقية التى تذكرنى بالمـــاضى واحداثه ، ولكنى لا ألبث ان اعود فاطرد الذكرى بالنظر الى ولدى الصغير الفاحم الشـــعر ، والى عينى امه السوداوين الفاتنتين .

حقا لقد أتى الحب بالمعجزة . حبانى من السعادة نعمـــة هى اجزل نعم الله على اهل الارض .

وزارة المعارف العمومية

المعهد المصرى للاسلكى

يعد الخريجين للاشتغال بالوظائف الحكومية الفنية وغيرها العمل كضباط بالاسلاك البحرى والطيران والعمل بالشركات الكبيرة او الاشتغال بالاعمال الحرة بعد حصولهم على :

دبلوم المدارس الصناعية الثانوية ((قسم اللاسلكى))

بالشروط الآتية :

١ ــ أن يكون الطالب حاملا للابتدائية

٢ ــ الدراسة بالمجان ولمدة اربع سنوات

٣ ــ تقدم الطلبات على اســـتمارة رقم ٣٤ مصحوبه بالشهادات : الابتدائية والميلاد وحسن السير وخلو الطالب من الامراض الطفيلية

وتقبل الطلبات بالادارة العامة رقم ٨ ميدان سليمان باشا بمصر ولفرعه بالاسكندرية ٣٥٨ شارع الترعة المحمودية

هذه قصة رجل كان اول امره كاكثر معاشر الرجال ، جنوحا الى القسوة فى احكامه ، لا يعرف قيمة الحب الصادق الا بعد الحرمان من نعمته ، رجل كان يرى ان زلة قدم واحدة من اية امراة ، كافية مهما يكن الباعث لطردها من حظيرة الانسانية ، ووصمها بميسم العار الى الابد فلا تصلح زوجا . ولا ينبغى ان تكون اما ..

ولست ادرى ما الذى يعثنى على ان اكتب قصتى هذه ، الا ان يكون دافعى عليها الامل فى ان تروح نذيرا لغيرى من الشباب حتى لا يقع فى الخطا الذى وقعت فيه ، اولئك الشباب الذين يجنحون الى القسوة فى الحكم ، والذين لا تواتيهم الفرصة بعد ذلك لتعديل احكامهم الماضية ، ولعلى اريد بسرد قصتى للملا اليوم ان يعلم الناس كذلك مبلغ السعادة العجيبة التى نعمت بها منذ ادركت غلطتى الاولى ، وامضيت التمس اصلاحها ، واكفر عما كان منى فى عهدها

كنت فى الرابعة والعشرين عندما لقيت الفتاة التى حسبتها متحلية بكل الصفات والمفاتن والمزايا التى كنت اتطلع الى اجتماعها فى الفتاة التى ارتضى مثلها لى زوجا وكانت قد مضت على اربعة اعوام وانا اشتغل بصناعة النقوش

والزخارف . وقد وجدت توفيقا فى عملى ، وكنت وحيدا من الاهل ، خليا من النزوع الى اللهو ، مقتصدا غير متلاف . فاجتمع لى على الايام مبلغ طيب من المال ادخرته لايام الحاجة ، فكان الذين لا يعرفون دخيلة امرى يحسبوننى غنيا فى نعمة حال ، ولما كنت احاول ان احدث هذا التاثير فى نفوس الناس ، تركتهم الى هذا الظن فلم اشا ان اغير رايهم فى امرى ، وكانت الفتاة « د » من هؤلاء ، وان لم ادرك ذلك فى اول العهد بمعرفتنا .. بل كنت احسبها تعرف حقيقتى وتعلم اننى لست الا عاملا يكدح لرزقه ، وكنت اعتقد ان ميلها لى عن حب محض ، لا صلة له بالمادة ولا دخل للمال فيه ، فبعثنى هذا الاعتقاد على حبها ، وذهبت اعطيها من ذات نفسى ما تشاء

وكان هناك شيء اخر ادنانى منها ، واسر فؤادى من ناحيتها وهو جمالها الهادىء الساكن المهيب اشبه شيء بجمال الهياكل ورهبة التماثيل .. جمال كنت مؤمنا بانه ولا ريب طاهر لم يلوث ، نقى لم تشب نقاءه شائبة ولا مجرد خطرة عارضة ، ولا فكرة دنسة . مما يجول فى احلام العذارى عند اكتمال نموهن

وكنت من اولئك الرجال الذين وان لم يرتفعوا هم انفسهم الى مصاف الملائكة ، لا يزالون ينتظرون من الفتاة التى تحبهم ، او المراة التى يبنون بها ان تكون ملكا من السماء ، وان تكون انقى من النقاء

وكذلك كان مذهبى فى الزواج ودينى ، وكنت مجمعا نيتى على ان لا ارتضى لنفسى فى شركة هذه الحياة الا الفتاة الطاهرة النقية العذراء

فلما احببت « د » حسبتها مجتمع ذلك كله ، وكانت ايامنا الاولى حافلة بالهناءة . ثم ما لبث افق عيشنا ان غام واكفهر ، والان ، وانا اعود بالذاكرة الى ذلك العهد ، احسبنى كنت يومئذ من « الدقة » القديمة ، ولم اكن فى عرفانى بواجبات الزواج «ابن العصر» وفتى الجيل

لست ادرى .. وانما كل ما ادريه انني لم اك احمق فى ذلك الحين ، اذ كنت انتظر فى عودتى الى البيت من عملى على مطالع المساء ان اجد زوجى فى الدار ترتقب عودتى من كدح نهارى . وكنت ارتقب منها ان تقوم على رعاية شئون المنزل وتعهده . ولكنها كانت تذهب فى الزواج غير هذا المذهب ، وترى فى عيش الاسرة غير هذا الراى ، وكان حسبى ما عانيت من الم الوحدة وعيش العزلة فى ايام عزوبتى ، انعم بحياة الزواج ورفقة الزوج ، والمقام بدار حسنة نظيفة مكفولة الرعاية فى ظل المراة التى اخترتها من بين نساء هذه الارض لشركة الحياة ، وكنت قد جمعت ما ادخرت من المال من قبل . فابتعت دارا صغيرة غناء ذات حائط انف ، فجملتها بما شاء الذوق الرفيع من نفيس الرياش ، وظننتنى بذلك قد ابتنيت عشا حلوا بديعا لمقامى بجانب امراتى الحسناء .

وكنت احسبها ستحسن القيام على تلك الدار وتتعهدها بالعناية الواجبة ، ولكن وا اسفى .. لقد اخطات الظن . فقد كانت « د » لا تعرف من فن الطهى كثيرا ولا قليلا . ولا تحفل بان تتعلم منه شيئا ، وكانت اجهل امراة كربه بيت ، واعلم امراة كفادة برزة تغشى المجامع وتلتمس اماكن القصف واللهو ، وتبين لى ان مطالب البيت لن تكون يوما من واجبها . وانما انا الكفيل بغناى الذى تعرفه عنى ان املا البيت خدما لها ووصيفات . والفيتها تشرب الخمر فى مجالس الصواحب والخلطاء . وتدخن التبغ ، ولاريب فى ان اكثر السيدات يعاقرنها اليوم ولا يمتنعن عن اللفافة او اللفافتين . ولكن لعلى كنت يومئذ من « لدقة القديمة » كما قلت ، فكرهت ذلك منها ونكرته . وزادنى استنكارا له انها جعلتنى اعتقد قبل الزفاف انها لا تعاقر الخمر ، ولا تدخن ، ورايتها حوامة هوامة على

مجالس اللهو ؛ فتبعتها بأدى الراى وسايرتها فى هواها حتى تبين لى انها لا تبغى عن اللهو حولا ، ولا تجد منه شبعا ، وان البيت عندها هو آخر مكان تلجا اليه اذا اعوزها اللهو او لم تجد قصفا ، وكاشفتها فى امر الخلفة والرغب فى الذرارى والبنين فصارحتنى انها لا تريد من ذاك شيئا . فاخذت ادرك رويدا ان كل غرضها من الزواج بى لم يكن سوى الركض فى ميدان اللهو كيف شاءت وشاء لها الهوى ، ولم تكن تشعر نى بشىء من الحب . وهو ما ينتظر من اية امراة سواها ما دامت ترى زوجها ذا مال تنفق منه وتجده هينا لينا معها ، ياذن لها ان تسلك فى العيش المسلك الذى تحب ، فبدات ارفض الذهاب معها الى مغاشى السمر واللهو ، الا على فترات معقولة ، وفينات متناسبة ، فراحت تغشاها وحدها او مع رجل اخر ، ولم اكن اعرف مع من كانت تذهب ، ولا حفلت بان اعرف ، اذ لم تكن حركاتها وسكناتها فى تلك الفترة عندى ذات بال . وعدت الى نفسى فى اخر الامر فقلت لها : ان هذا الاسلوب من العيش لا ينبغى ان يمضى على سننه ، وما دمنا فى فهم الحياة الزوجية على خلاف — فعلام نبدد ايامنا هكذا خلية من الهناءة المتبادلة والنعمة المشتركة وحاولت ان اقنعها بوجوب الطلاق . والسماح لى بتسريحها ولكنها غضبت وتمادت . . فاستحوذت على من ناحيتها سآمة ممضة : ودفعنى الاشمئزاز من عيشها وخطتها الى تركها . فخرجت فى ذات يوم هائما على وجهى تاركا كل شىء ورائى ، متحملا الى بلد بعيد لم اكاشفها به واعتزلت النساء كارها لهن واجدا عليهن الدهر كله . ووجدت لى عملا فى ذلك البلد النائى فسلكتنى فيه . ولكنى لم اقبل عليه اقبالى فيما فرط من ايام الشباب ، وعهد النشاط وامتلاء الفؤاد بالامانى والامال . ورحت اتلهى واتناسى مرير الخيبة فى زواجى بغشيان المشارب واقامة الليل ، وبدات اعاقر الشراب قليلا ثم ما لبثت من ايلاف له ان رحت الح عليه لحاحا . . .

وكذلك مضى بى العيش رخيا حتى التقيت بالحسناء « ر » ..
وفى الحق لم تكن هـذه بالمرأة الاولى التى عرفتها منذ رحيلى عن تلك الزوج الناشز الحوامة المتلاف ؛ بل لقد لقيت قبلهـا كثيرات . جعلت اتناولهن كماجئن ؛ واعاملهن المعاملة التى يستاهلن ؛ فمنهن من اصابت منى الاحترام ؛ واخريات لم يجدن عندى غير الاحتقار والعبث ؛ ولكنهن جميعا لم يكن يظفرن منى بعاطفه صادقة. فلما جاءت هذه ؛ وجدتنى لاول مرة قد وقفت لاتروى وافكر ماذا ينبغى لهـا فى فؤادى ؛ فكانت بادى الرأى امراة متعة اتلهى بها حينا لكى انبذها اذا انا بشمت بها ؛ ولكن ماعتمت بعد عرفانى قدرها ، وامتحانى خلقها وعاطفتها ، ان وجدتنى احس لها احتراما عميقا فى اطواء النفس ؛ ولم اكن يومئذ ادرى ما الذى بعثنى على احترامها وما عرفت ذلك الا على ختام هذه القصة كما سترى ..

كانت فى بادىء الامر لغزا دق على حله ، بل فى الحق لقد سقطت على بغتة ، فدهشنى بسحرها فجاة ؛ اذ رايت فعالها وكلماتها على نقيض ماكنت اشهد من النساء اللاتى عرفنهن ؛ وكانت مليحة محببة ، حلوة التركيب ، ذات عينين نجلاوين سوداوين طاهرتين عفتين ؛ وفروع سوداء فاحمة كالليل ، وانها لتاتى عليها لحظات تبدو فيها عيناها رانيتين رنوة مسكينة شاكية يائسة مستضعفة ، حتى ليخيل للمرء ان ينثنى اليها فيتناولها فى احضانه ويحميها بجناحيه ، ويقيها بحبه ورثائه ، فاذا تكلمت ادرك السامع من لهجة حديثها وروعة منطقها انها قوية فلا تحتاج الى ناصر ، ولا تسال عون معين .

ولاح لى انها لم تكن تميل الى رجل بعينه ، او تلتمس الحب عند فنى بذاته ، بل كنت يوما اراها مع واحد ثم لا البث ان اجدها عند سواه وقلما تتراءى مع رجل اكثر من مرة او مرتين ،

وتضافر رأى الجميع بلامعارض، على انها مثال الفتاة الانيسة المفراح لاغبار عليها ، ولكنهم كذلك اتفقوا على انهم لايجدون عندها ماهم واجدوه من الفتيات الاخريات ؛ اذ لم تكن تبيح لهم من عبث الغزل والعاب الشباب ماتبسم له وتستطيبه غيرها من الاتراب والصاحبات ، فلم يكن أحد منهم يلتمس اصطحابها الى النزهة واللهو اكثر من مرة واحدة ثم يكف .

* * *

وكذلك رايتنى بعد قليل أسألها الخروج معى الى النزهات، وما كان مثلى بمن يقنع بالمرة والمرتين، فان مارايته منها أكد عندى ماسمعته عنها ، فزادنى هذا تعلقا بها ، واستكثارا من الجلوس اليها ، ومعاودة النزهة معها ؛ فلم تكن ترفض لى سؤالا ؛ وما عتمت ان قامت بيننا الرفقة الثابتة المكينة ، ووجدتها من تلقاء نفسها قد امتنعت عن الفتيان وكفت عن الخروج مع احدمنهم ، ولم اكن سألتها ان تمتنع ؛ ولا اوحيت اليها ان تكف ؛ فسرنى ذلك منها وحببنى اليها ، وعلى الايام الفيت تغيرا عظيما قد اخذ يظهر عليها ؛ فقد بدأت ترفض اللفائف وتستعفى من الشراب كلما عرض ذلك فى المجلس ؛ او اغريتها به قائلة انها لم تعد تحفل بشراب ولا « تبفى » تصخينا ، وكنت أعلم انها من قبل كانت تشرب وتدخن ، ووجدتها كذلك قد اخذت رويدا تخلع عنها شملة ذلك المظهر القوى المستقل الثابت الذى كانت تتراءى للناس به ، وراحت تبدى جانب المراة الضعيفة منها ، وتتكشف لى عن انسانة تحتاج الى الحامى والراعى والنصير .

ومن ذلك الحين اخذت احلم ثانية بالزواج وعيش الاسرة ونعمة الذراعى والبنين ؛ ففى ذات مساء صائف اتفق راينا على الا نذهب الى المراقص ولا نطلب فى تلك الليلة الملهى ، بل نخرج للنزهة فى الحدائق والرياض .

وفى الحديقة الكبرى ألفينا مقعدا منعزلا تحت شجرة فقعدنا، وطوقت كتفها بذراعى تطويقة حب وحنان ، وسادنا سكون طويل ثم أنشأت تتكلم : قالت : أرى الامور تجرى مندفعة ، فقبل ان نتمادى مع تيارها ينبغى ان أكاشفك بما فى نفسى .. اننى أحبك .. فمالى لا أجهر لك به، وأحسبك تحاول حبى أنت كذلك ولكن اعلى قد غلوت فى التصور وحملت عاطفتك لى على أكثر مما ينبغى أن تحمل ، فاذا لم تكن تحبنى ، فلا حاجة بى الى مكاشفتك به لانه لا يخصك ، أفانت راغب فى سماعه . ؟ ..

وانزوت عنى قليلا وهى تتحدث ، وكان صوتها خافتا مغمغما حتى لا يكاد يقع فى المسمع ، وان كانت قد صبت تلك الكلمات صبا ، وتدفقت بها اندفقا ، كأنها من لهفة على الجهر بها تريد اراحة صدرها من عبئها

قلت أريد ان أسمع أى شىء تقولين ياحلوة .

وساد سكون ثم غمغمت تقول: ان لى طفلة . !

فنظرت اليها مبهوتا ولم استطع قولا .

ولكنى عدت اقول : اذن لقد كنت اذن ذات بعل ؟ .

فأجابت فى صراحة رهيبة جليلة : كلا !

فبدهنى هذا الجواب وصعقت له ، ولم أستطع ان أصدق ان هذه الفتاة البريئة النظرات العفة السمات التى أصابت منا جميعا مكان الاعجاب ، هى ... يالعنة لسموات !

قلت : حدثينى كيف كان ذلك ..

فمضت فى رفق وعلى فترات صمت كأن كل كلمة تفتح فى النفس جرحا وتستثير عذابا أليما، تحدثنى بقصتها الاليمة وكيف ان لها طفلة أتمت الحول الاول أو قرابته

وجلست بعد ان فرغت من حديثها شارد النظر سابح المخيلة فى أودية التفكير .

قلت اخيرا : أتقولين انه كان متزوجا بك لو انه عاش وانسأ الله فى اجله .

قالت : ذلك كان قوله وكنت احسبه على الايام فاعلا لو لم تعجله المنون فتخترمه .

وامسكت فلم تزد ، ولم تدفع عنها تهمة ، ولا حاولت ان تعتذر بنزق الشباب ، او تتشفع بظروف مخففه .

ولكنى ادركت فيما تلا من الايام شيئا كثيرا عن حياتها الماضية ، وعرفت انها كانت صادقة فيما حدثتنى به ، وكانت ترقب الزواج بذلك الرجل لولا ان القدر خدعها فى امنية فؤادها .

وانا اليوم قادر كل تلك الظروف التى اجتازتها تلك الفتاة المسكينة حق قدرها ، ولكنى فى تلك الايام كان كل رأيى فيها انها امراة ملوثة دنسة لا تصلح لتلى زوجا . اما امتلاكها فذلك امر آخر ، واما الاستحواذ عليها فلا بأس منه ولا ضير

ومضيت اتشفع لهذه الفكرة بينى وبين نفسى بانها قد ظلمتنى بعض الظلم واساءت الى ناحية من الاساءة اذ غررت بى واوهمتنى انها الفتاة العفة الجديدة لم تمس ، وانه ينبغى لى ان ادفع الظلم بظلم مثله . وحسبتنى فى ذلك الحين قد كرهتها ، وانى واجد اللذة والمتعة فى ايذائها ، وان ما كنت اظنه حبا فى النفس لها لم يكن فى لحق شيئا غير النزوة والشهوة ولكن لعلك قائل لعمرك كيف تجتمع الكراهية والشهوة .

ولكن كذلك كان يومئذ رأيى فى مشاعرى من ناحية تلك المرأة ، وكذلك مضيت اغريها بانى لا زال على حبى لها واقنعها بقوة ذلك الحب ان لا بأس ولا ضير من ان نعيش معا فترة من الدهر حتى يتواتى لنا امر الزواج .. ولم أكتم عنها نبأ زواجى الاول ولكن نبأتها اننى عما قليل سأطلق زوجتى ولم أحفل بشىء فى سبيل التغرير بها كما غررت بى ، فاستاجرت طبقة

فاذا هي تخيط ثوبا صغيرا لوليد

وسط فى المدينة ففرشتها برياش بسيط وانتقلنا اليها ، وكانت النيه فى ذلك الا اهبها شيئا صالحا ولا أدعها تنعم بعيش مونق جميل ، اعتقادا منى انها لا تستأهل ذلك . واعتزاما من ناحيتى ان لا اطيل معها مكثا ، ولاح لى انها لم تلحظ حقارة الرياش بل فرحت بالبيت وما فيه . واكببت على عملى النهار كله ولم الق بالا الى شئون البيت ومطالبه . ولكنى ما لبثت ان دهشت لذلك التغيير العجيب الذى بدا لعينى ، اذ جعلت كلما عدت الى الدار بالعشى ارى الرعاية تامة والبيت نظيفا و لافق فرحا يملأ النفس رضى ومسرة .. ولم اكن اعطيها من المال غير النزر اليسير ، ولكنها بذلك القليل قنعت . وحشدت فى البيت من كل طيب وبديع وبهيج .. وكان سرورها الاكبر ان تتحفنى كل عشاء بلون جديد من الطعام ومبتكر طريف من الماكل والالوان

وكذلك كانت ربة بيت صناع ماهرة ، وسيدة فى الدار اريبة حاذقة . واذكرتنى حالها بحال طفلة تتخذ من لعبتها الجميلة بيتا ، وتجد فى تنسيقه نهاية الفرح والجذل .

واها للمسكينة !. لقد كان ذلك امنيتها فؤادها الاولى التى حرمتها ولم تتهيا لها ، ولعل ذلك سر ابتهاجها بتوفير اسباب الهناءة فى جوه وتجميله بما فى مكنتها ان تجمله . ومضت الحال كذلك ردحا . ولا زال فى نفسى الرغبة فى الثأر منها ، بل لقد كنت قسى من ذلك شعورا . فحدثتنى النفس ان استطيل فى امساكها حتى تطمئن الى ان العيش قد استتب والدار قد استقامت . ثم ائتنى فاحطم كل ذلك بكلمة واحدة اغرقا فى التشفى ، ومبالغة فى الاذى . وان لم يكن ذلك بمانعى اذا عدت فى المساء من تناولها فى احضانى وطبع قبلاتى على صفحة محياها .. والتمتع بما اعدت لى من جديد ومبتكر

ففى ذات مساء راحت تسألنى متى اذن يكون زواج

فاستضحكت وقلت : لاتكونى بلهاء ، وانت تعرفين اننى ما فكرت قط فى الزواج بك

فامسكت عن الكلام ولم تعمد الى توسل ولا فزعت الى شكاة او عتب او رجاء

ولكنى لن انسى ماحييت تلك النظرة المسكينة التى أطلت على من عينيها فى ذلك المساء ، وا أسفاه !. لم تكن تلك النظرة حدجة مسمومة ولا جحظة غاضبة ، ولم تلح على عينها سريعا ، ولم تخطف كالتماعة البرق ؛ وانما كانت رنوة الم ساكن ونظرة انكار حائر ، لاحت رويدا رويدا منبثقة انبثاق الفجر ، يبدو بياضه فى سواد الليل خيطا بعد خيط ، وكأنما كان المسيء انسانا غيرى ، فجاءت تلتمس بنظرتها تلك عندى المؤاساة والعطف والرثاء

ولست ادرى كيف رحت وحشا اعمى ! فاسترسلت بعد ذلك فى مسلكى القاسى الاليم

ولقد كنت ولا ريب ارتقب من وراء هذه القسوة ان احملها على النفور من هذا العيش ، والتمرد على تلك الحياة وكنت انتظر ان اعود ليلة فلا اجدها فى البيت

ولكنها لم تتبرم ولم تحاول فرارا ، بل مضت تعنى بالدار اكثر مما فعلت من قبل ، وتحشد فيها من ألوان الهناءة ما استطاعت ، وتلتمس ارضائى بكل حيلة وسبيل فظللت دهرا حائرا بين محاولة النجاة من فتون حبها ، وبين اطلاق النفس على سجيتها لتحبها وتحسن اليها .

ففى أصيل بديع بكرت فيه الى البيت فدخلت عليها الخدر على غرة فاذا هى تخيط ثوبا صغيرا لوليد وتغمغم بأغنية حلوة ، فلما انتبهت الى مواقع قدمى وقفت أنغام الاغنية على شفتيها

واضطربت تحاول اخفاء الثوب الذى تحيكه ، ولكنها لما أدركت ان لاجدوى من الاخفاء بعد ان أخذ عينى طول ذلك الثوب ودقته ، راحت تهز كتفيها الجميلتين وتعاود العمل بابرتها، قلت: لمن هذا الثوب ؟ وأنا أعرف أو أحسبنى أعرف انه لطفلتها ، ولم اكن رايت طفلتها الى ذلك العهد ، وانما كنت من قبل قد قلت لها : اننا بعد الزواج سنجىء بالطفلة من البيت الذى هى فيه لتعيش معنا وتترعرع فى أكنافنا.

قالت فى تؤدة : انه لوليدك !

فبهت ووقفت مكانى جامد الحركة .

قلت عابثا ساخرا : وليدى !ماشاء الله !ومتى كان ذلك ؟ .

وكنت من قبل قد نبأت ان سبب نفارى من « د » انها بجانب مسلكها الطائش لم تكن تريد ان تسمح لها بفرحة البنين، فلما انكرت عليها ذلك فى لهجة السخرية التى فهت بها ،لم تزد على ان قالت : لقد كنت اظنك متلهفا على الوليد ، وقد كنت انا كذلك للذرية راغبة ، فتركت الطبيعة شرعتها المقدسة ،مؤمنة بانك ستتزوجنى قبل ان تحين ولادة .

ولكنى فى أعماق النفس كنت ثائرا غاضبا ، اذ كنت على ما ألفت من عقائد الناس ونظراتهم فى الحياة لا ازال ارى ان امرأة مثلها لاتروح خليقة بان تكون لذريتى اما ، فانثنيت أقول : اننى أعرف طبيبا يستطيع ان ...

ولكنى امسكت فلم أتم كلمتى ، اذ رايت فى عينيها نظرة ابلغ من الكلم ، وافعل فى النفس اثرا من الشكاة والضراعة !

وجاء يوم الوضع ، وحضر الطبيب ووافت الممرضة ، فخلتنى رجلا احتواه بيت غريب ليس له به عهد ، وخرج الطبيب من حجرتها ، فنبأنى بان زوجتى تريد ان ادخل عليها ، فدخلت مستجمعا جاشى فجلست بجانب سريرها وانا حائر لا أدرى ماذا افعل وماذا اقول ! .

ولكن وجهها الشاحب وعينها المتوسلة أوحيا الى نفسي انها تريد ان أكون منها قريبا ، وابتسمت لي قائلة : أود لو انك تبقى بجانبي هكذا وتتحدث الي وتمسك بيدي قليلا ، أفترى في ذلك بأسا ؟

قلت بحنان : لست أرى فيه بأسا مطلقا اذا كنت ترين انه ينبغي ان اكون بجانبك ، ولكن اتحسبين في الحق ان مكاني الساعة هنا ....

وترددت فلم أزد .

وكأنما أدركت غرضي فقالت : أريد ان تبقى ، ولكن اذن ... واختنق صوتها بانتحابة مجهشة وشدت من فرط تشنجها على يدي شدة لم أكن أستطيع ان اجتذب يدي منها لو انني أردت الانصراف .

وجاء الطبيب والممرضة الى سريرها ، لها الله من مسكينة ! لقد كانت تعرف أي عذاب هي معانيته بعد قليل ، فقد أحست وقعه من قبل وجربت ألمه ، ولكن ذلك لم يمنعها من معاودته بدافع الحب لي والعمل لارضائي

ومضى أسبوع لم يأذن لي الطبيب في رؤيتها قائلا انها تتعلق من الحياة بخيط واه ، وان من الخطر عليها ان ترى أحدا وان تراني أنا خاصة ، فمضى على ذلك الاسبوع في عذاب لم أكن أتوقعه ، وما أحسب انني واجد مثله فيما بقي من الاجل .

وقد عرفت أثر الصلاة في النفس فرحت أصلي لله من اجل نجاتها ودعوته ان يقدرني على ان اكون خليقا بذلك الحب ، جديرا بتلك المرأة ، لانني وجدتني احبها ، وأدركت انها هي عندي العالم بأسره ، وانها اذا ماتت كنت أنا الملوم ولن أعيش بعدها ابدا ، وعجبت لنفسي كيف كنت أعمى البصيرة من قبل أحاول اقناع ضميري بانني لم اشعر يوما من نحوها بحب ، واتجاهل ذلك الحب الرائع العجيب الذي وهبتنيه من ذات نفسها .

وكانما استجاب الله لدعائى فأخذت تبل من علتها ، وجاءنى الطبيب ذات يوم يقول : اليوم لك ان تدخل عليها ، فطفر قلبى فرحا عندما مشيت الى سريرها على أطراف القدمين ، وجثوت بجانب فراشها وطوقتها بذراعى هى والوليد وكان يصرخ غير حافل بشىء ، ورحت ابكى وانتحب وهى لاتشعر بقربى ، ثم مالبثت ان التفتت الى فقالت من عجب : مالك تبكى ياعزيزى ؟. واخذت تلاعب شعرى بيدها الخلية .

فانثنيت اقول : إننى لسعيد بك ايتها الام الصغيرة ، وراغد الحياة بشفائك وعودك الى انعم بك آخر الدهر . وانا فرح جذلان بهذا الوليد الذى جاءنى ليدلنى على انى كنت بالامس الاحمق!. أواه ياغالية ، ايتاح لى ان اجعلك سعيدة مثلى اليوم ! ويحى ! هل لى ان اسالك صفحا عنى وعودا الى حبى ؟ وماذا استطيع ان افعل تكفيرا عما اسأت اليك من قبل ؟

قالت بصوت مغمغم وعين وسنانة : ماكففت عن حبك قط ، وما كنت مستطيعة ان اكف عنه ، فاذا اردت ان تسعدنى فقليلا من حب ...

وامسكت فلم تتم كانما من خوف .

قلت : نعم سنتزوج يوم اكون طليقا وساكونه ولا ريب .

وكانما كان القدر مسعفى ، فقد وجدت « د » الرجل الذى سكنت الى حبه واطمانت الى نعمة العيش فى كنفه فودت طلاقا ، وكذلك كان زواجى الثانى منذ عشر سنوات ، ونحن على محض الحب والوفاء والهناءة باقيان ..

تسامع الناس بأنني اختطفت ابنتي ، بل اسوأ من ذلك وادهى ان القضاء حكم بانني كنت خائنة عهد زوجي وقضى بطلاقه من هذه المرأة التي لاتعرف للشرف حقا ، ولا ترعى حفظا ، وحكم له بأخذ الطفلة ... .

جرى ذلك كله باسم العدالة . فيا للمنكر ويا للسوء ! ...

ايتها العدالة ، كم من مظالم ترتكب باسمك ... !

نعم ، لقد كانت تلك كلها ظلما فوق ظلم ، وكاذيب اثر اكاذيب

وقد حدث الحادث الاكبر في ذات صبح فقد فيه زوجي صوابه : ومضت نزعة الغيرة التي طالما استبدت به ، فاحتملته الى نوبة عارضة من نوبات الجنون ، وكنت قد استيقظت في ذلك الصباح كمن يصحو من حلم اليم يملأ صدره تطيرا وشر النذر ، فاذا به لايزال في نصف ثيابه واقفا خيال المرأة يتهيأ للبسة الخروج

واستدار نحوي وفي عينه بريق الكراهية والحنق

قال افهمت اذن ، ينبغي ان لاتعرفيه بعد اليوم ، لا اريد ان اكرر امري هذا مرة اخرى

وكذلك قذفني بهذه الكلمات في اللحظة التي فتحت فيها عيني مستيقظة

قلت بصوت راعش : ماذاجرى

وامسكت لحظة ثم استأنفت اقول : انت تعرف اننا التقينا به ليلة امس فى دار أخيك محض اتفاق ، وكان الدهر قد ضرب بينى وبينه عدة السنوات اذكنت اعرفه فى بلدنا يوم كنت فى المهد صبية ، وجاء من البلد منذعهد قريب وانشأ يقص على سمعى انباء اهلى واقاربى . فكان اقل ماينبغى ان نفعله من اجله ان ندعوه الليلة الى العشاء عندنا قبل ان يغادر المدينة

ذلك ماقلته له

ولم يكن شجارنا فى الغداة الا بقية من شجارنا فى الليلة البارحة ، فبرقت عيناه عندما سمع كلماتى تلك وقال لايهمنى ان يكون ماتقترحينه اقل ماينبغى ان نفعل ، اعتذرى له بأنك اليوم مريضة ، تشفعى بأى عذر ، كل غرضى ان لا ارى ذلك الرجل فى بيتى

فاستويت جالسة فى فراشى

قلت علام هذا التشنج والانفعال ؟ ان ذلك الرجل - كما تقول عنه - صديق قديم ، وانا اصر على ان نعامله كذلك

وتولانى الغضب فاسترسلت اقول : لقد ازهقت روحى كل هذه السنوات الثلاث الماضية باعتراضاتك كلما رأيتنى اتحدث الى رجل ، بلا ادنى سبب معقول أو عذر وجيه ، وانت تعلم اننى ظللت ابدا على الوفاء لك والحرص على عهدك ، وانا باقية عليه ماحييت ...

ولكنه عاجلنى بقوله وهو يهجم على وقد احمر وجهه غيظا ، وانتفخت اوداجه وهز انملته فى وجهى هزا « اتتحدثين عن الوفاء لى .. ماشاء الله .. انت وفية ؟ .. انت .. !

فانزويت منه رعبا اذ ادركت انه قد استطار صوابه

واذا به يندفع فى ثورة مجنونة صائحا بى : انت وفيه ؟!

اذ كنت قد اقمت لى على الوفاء دليلا ذلك الا لاننى حفظتك كذلك وصنتك . نعم ، انت زوجى ولن ادعك تنسين ذلك . فهذا نذيرى . ! ان ذلك المخلوق ان يراك مابقيت لى فى هذه الدنيا حياة ، أفاهمة ما اقول . ؟

وتولى عنى معرضا ، فاخذتنى نوبة حنق سكرامتى ، فتلفعت بشفاعتى ونهضت له فقلت : لمن تحسبك تتكلم ؟ . لقد كنت مضحكا فى غيرتك قبل اليوم ، ولكنى لم اكن اظنك ستتسى ادبك فى حقى الى هذا الحد . ؟ انت ترى ان الدعوة قد تمت وهو قادم الليلة الى هذا البيت . وقد انبانى ان لديه امرا يريد ان يتحدث اليك فى شأنه .

فدار على عقبيه وصاح بى : تقولين امرا ! اى امر له معى ؟ سأريه امرى معه

وانطلق فى ثورة الجنون ، فدفع الباب خلفه وادار المفتاح فى قفله ، فلم اكد اصدق سمعى ... يالله . ! لقد حبسنى زوجى فى حجرتى . !

وعدوت الى الباب مشدوهة فعالجت اكرته وسمعت الباب الخارجى يغلق بعنف ، فكدت من انهم تغشانى الغشية ، ولكنى تذكرت ان طفلتنا نائمة فى سريرها فى الحجرة المقابلة للشرفة ، ولا بد لى من الخروج من حجرتى فى الحال لاعد لها فطورها والا خنقت الوليدة من فرط النحيب اذا انا لم اسارع اليها

وكانما قد ايقظها صياح ابيها فسمعتها من خلف الباب تصرخ وئلة : ماما ... ماما ... طاب الصباح ..

يا الهى كيف العمل . لقد جن جنون زوجى من اثر غيرته ، وما احسبه سيعود فيفتح الباب ، فتلفت حولى فى الحجرة يائسة ، فتذكرت ان النافذة ، وكانت الوحيدة فى الغرفة ، تطل على فناء

البيت ، فاذا صحت وناديت فلعل احد السكان سيسمع صيحتى وندائى فيهيب بالبواب فيجىء هذا لاخراجى . فاستطيع الذهاب الى طفلتى فى الحجرة الاخرى .

ولكنى ترددت لحظة اسائل خاطرى، اينبغى الصياح بالجيران ليعلموا ان زوجى قد حبسنى فى مخدعى وانطلق فى سبيله .؟ كلا ! . آخر الحياة . يجب ان احتال للخروج من هذا المأزق بوسيلة اخرى .

وكان الى الدفين فى أعماق نفسى ان يكون زواجى به قد بدا غلطة شنعاء وغصة اليمة لنا، والناس لايعرفون عن ذلك قليلا ولا كثير ، او الجيران يعتقدون اننا من خير الازواج واصلحهم حالا واسعدهم عيشا ، افكان ظهور ذلك الرجل فى افق حياتنا سبب هذه المأساة التى وقعت لى اليوم .

وفاض فيض عاطفتى ، وثارت ثائرتى ، وهمت عبراتى ، فتهالكت على الفراش ساخطة حانقة ، لم آت منكرا ، ولم أحدث فى الحياة سوءا ولا ضرا ، فعلام هذا العذاب ! ولم هذا العسف الذى اسامه ؟ لقد كان لقاؤنا بذلك الصديق على غير ميعاد فى بيت شقيق زوجى الليلة البارحة، وقد سرنى ان اراه بعد غيبة الاعوام الطوال ، فقد كنا منذ عشر سنين فى البلد الصغير الوادع الذى فيه نشأت صديقين على ولاء ، ثم انحدر هو الى المدينة ليشتغل بصناعة المحاماة، ولعل ذلك هو السبب الذى منعنى الزواج حتى ادركت السادسة والعشرين على الرغم من الحاح فتى آخر على بغزله وتودده واستدراجى الى الرضاء به زوجا ...

كان ذلك منذ خمسة أعوام، مضت أربعة منها وأنا أغالب الندامة وأناضل الاسى حتى لا اعترف لنفسى بأن زواجى عاد خيبة مريرة ولم يعد هناءة ولا رغدا !

ولكنى أمسكت فيض خواطرى وعدت الى نفسى اردهـــا الى موقفى المحرج الاليم ، واذكرها بمحبسى هذا فى مخدعى .

ووثبت من فراشى لاحتـــال على الخـــروج ، فمشيت الى الباب اتفحصه ، فاذا هو ثقيل متين القفل ، فقد جئنا بالنجار منذ اسبوع فأصلحه وكان مـــن قبل لا ينغلق تماما اذا أغلقناه.

وتذكرت أن النجار انتزع الباب من مفصلاته ثم رد الى موضعه، فصعدت كرســـيا ونظرت الى المفصلة العليا وقلت لنفسى لعلى مستطيعة ان انزع مسامير المفصلة كما فعل النجار، فمضيت أحاول ذلك طويلا بمقصى ، وذهنى مفعم بذكريات الماضى ، واحداثه تعود الى خـــاطرى ، بينمـــا يداى الضعيفتان تعالجان المسامير

ولم أستطع أن أحل ذلـــك المعمى . معمى زواجى ، ولـــم أجد له سببا الا بعض تصاريف الاقدار ومجتمع الظروف .

كنت كبرى أخواتى ، وكنـــا ست فتيات ، تزوجت قبـــلى احداهن ، وخطبت أخـــرى ، وبلغت أنا من الشباب مرحـــلة بدأ فيها أهلى يستشعرون خوفا أحمق من بقائى عذراء، ويشفقون من أن أروح عانسا العمر كله ، ولعل خوف أختى المتزوجة من هذه الناحية ومكاشـــفتها لى بمخاوفها ، واقناعى بوجـــوب انتهاز أول سانحة للاقبال على عيش الزواج ، هى كلها السبب الـــذى حملنى على الرضى به عاجلة غير متروية

وكنت يومئذ أعرف ذلك الفتى الاخر ، وكان لا يفتأ يســـألنى رايى فى قبـــول الزواج به ، ولـــكنى تركته بين نعـــم ولا حائرا مترددا . فقد عرفته من عهد الطفولة وكان طيبا ساذجا ولكنى كنت اضيق به ذرعا ، ولا اجد فى نفسى له ميلا ولا هوى ، وأنا لكذلك اذ نزل زوجى بالبلدة زيارة اقـــارب له فيهـــا ولعمل متصل بشئونهم ، وكان ينـــوى الرجوع بعد بضعة اسابيع. وكان لقائى به فى فرح اقيم فى القرية عقب قـــدومه : فمـــا لبث ان

افتتن بى من بين سائر الفتيات اللائى رحن يتلطفن اليه ويتحببن .. وتسامع الناس بانه فى خير حال وبسطة من الرزق . وكان ذلك كله كافيا فى قرية صغيرة كقريتنا لتهافت القوم عليه ، وكنت من قبل التهف على زيارة الحاضرة . فجعلت كلما جلست اليه فى حلوة اسأله ان يحدثنى عن مشاهدها ، وكان ذلك يثير فى النفس خيالا وفتنة . ويبعثنى على تخيل الفرار من هذا العيش الرتيب وحياة القرية الغبية المتبلدة ، فلم البث ان انست الى حديثه وآثرته على سذاجة الفتى الآخر . فتزوجنا بعد بضعة اسابيع وتحملت معه الى الحاضرة ، وكان قد قال لى قبيل الرحيل : انك ستحبين المدينة ولست اشك فى ان امى ستحبك .. فانت مليحة محببة ايتها الزوج الصغيرة الغالية .

يا لله .! ما كان اهنأ عيشى فى الايام الاولى لزواجنا فقد كانت الحياة حلما فى الكرى او خلسة المختلس . ولكنى من اول الامر وجدت اهله على غير ماكنت انتظر ، فقد الفيتهم قوما اغبياء ضيقى الاذهان . فلم اشأ ان اجاريهم فى حوار او ابسط لهم فى امر رايا ، بل رضت نفسى على السكوت والاستماع اليهم : وكانت له ام هى على غرار سواد الامهات تغار عليه من زوجه . ولا ترتضى ان تشاركها فى حبه انسانة سواها ، فلما التقينا اول لقائنا مضت تتاملنى بنظرة لتفحص وكانما استكثرت على ان اكون لولدها زوجا ، وقد سمعتها بعد ذلك بايام تنصح له بتشديد الرقابة على حركاتى وسكناتى ، وهى فى معزل تتحدث اليه خفية . نعم لقد طرق سمعى يومئذ قولها لاتنس يا بنى ان فى النساء مليحات متناهيات الملاحة والفتنة ، وهذا والله على الزوج الشر كله وفيه الضر ، لانهن لا يسلمن من غزل الرجال ومعاكستهم لهن والجرى ابدا فى اذيالهن ، فكن على زوجك الحسناء يا بنى بصيرا .

واحسبها كانت تلوم على نزعة الغيرة الجنونية التى تمكنت

لعلى مستطيعة ان انزع مسامير بالمفصلة كما فعل النجار

من نفس زوجي ، فلقد كانت كبيرة السلطان على نفسه ، تسيطر على جميع فعله ، وكان هو ضعيفا امامها لا يجرؤ على عصيان امرها

وادركت بعد قليل انه لم يكن الرجل المدقق فى عمله الذى سمعنا عنه فى القرية ، وانما كانت لديه فضلة من المال أودعها مصنعا صغيرا لصناعة الثياب ، ولكنها لم تدر عليه خيرا فمالبثت حياتنا ان ساءت ، وعجزنا عن الوفاء باكثر المطالب ، فمضيت ابحث عن عمل اعين بمرتبه زوجي على امره ، فاصبت عملا لقاء راتب طيب ، وكان يشاطر امه اعتقادها ان المراة المتزوجة ينبغى ان تلزم بيتها ، فلا تسعى على رزق ، شح فى العيش المال ام كثر ! فضاق بخروجي الى العمل ذرعا ، وكم من حوار جرى بيننا ونضال نشب ، فكان فيه ابدا يحتج على ان اعمل فى محل يعمل فيه الرجال

ووقع يوما حادث اليم ، اذ اذنت لرجل من زملائى فى المكتب ان يماشينى الى باب البيت ، وكنت لا ارى فى ذلك سوءا ولا ضررا ، فقد كان شيخا اشيب الفودين محبوبا من كل عامل فى المكتب ، وجرى بنا الحديث فى الطريق حتى ألمنا بباب بيتنا وقد آذنت السادسة ، ولقينا زوجي لدى الباب فلم يدع الرجل الى الدخول معنا ولم يحيه بل راح يغلق الباب بعنف فى وجهه

ولما احتوتنا قاعة الجلوس انفجر يقول : ها قد بدات تماشين الرجال ، وتسايرين الزملاء ، يا لها من فكرة بديعة

قلت : لست افهم موقفك هذا انه رجل مهذب ويانس الى حديثي ، وهو شيخ حطمته السنون فلا ارى سببا يمنعني مسايرته الى بيتنا ثم هو يعيش فى هذا الحي بالذات ، وطريقي طريقه .

وحاولت بالتلطف فى الحديث ان اتحاشى الشجار معه ؛ ولكنه انطلق يقول وهو منصرف الى مخدعه : لقد قلت لك لا تسايرى احدا ولا تمانى مخلوقا ؛ ولست اريد ان اكرر ذلك ثانيه .

وفى ذلك العهد ونحن على اشد الخلاف ؛ فى الراى والنظر الى الحياة ، قضى القضاء العجيب ان ارزق منه طفلة ، فتركت عملى ، وحاولت علاج مطالب البيت قاصدة فى النفقة ما استطعت ، وكانت الاشهر التى تلت ذلك عهدا موحشا فى الحياة اليما . فرحت اتعزى فيه بقراءة الكتب وخياطة الاثواب ، وكانت الطفلة جميله موفورة الصحة وراح ابوها بها مفتونا وجعل ينفق الكثير فى سبيل اتحافها باللعب والدمى ، ولم نكن فى ميسرة حتى يتواتى لنا استخدام مرضعة فى البيت ترعى الطفلة عنى ، وتقوم على حوائج الدار ، فاضطررت الى الاضراب فى البيت لا ابرحه

وفى العام التالى لمولدها جاءت اختى « س » من البلد لزيارتى فاقامت ردحا ، وكانما كانت رسولا من السماء لمعونتى وطرد الهم عنى فكانت تجلس الى الوليدة تلاعبها على مطالع الاصيل تاركة لى الفرص للخروج الى الاسواق او التماس النزهه ، وكانت « س .. » فتاة محببة ، فما لبثت ان عرفت صحابا فى المدينة وصواحب . فجعل هؤلاء واولئك يجيئون لزيارتنا ، والسمر عندنا ، وكان من بينهم غلامان مليحان ذكيان ، امتلات جعبتهما بطرائف الادب والعلم ، وكنت فى لهفة عليها لان زوجى كان اكره الناس للقراءة لا يفتح فى حياته كتابا ، ولا يجد فى نفسه استرواحا اليها ، فطاب لى الحديث مع هذين الغلامين فجعلنا نتجاذبه فى كثير من الموضوعات ونتطارح الآراء ونتساجلها

وفى ذات ليلة جاء الغلامان لزيارتنا ولم تكن اختى فى البيت ،

فقلت لهما انها ستتاخر كثيرا . ولكنهما مضيا يستأذنان ! هل من باس فى البقاء معى للحديث والسمر . وخشيت ان يكون المساء موحشا اذ كان زوجى قدنبانى بانه قد يتأخر فى الحضور عن الوعد الذى اعتاد ان يجىء فيه ، فسرتنى زيارة الشابين وطردت عن صدرى الم الوحشة

وانت تعلم ان الشباب مولعون بالكلام عن النساء وخاصة مع سيدة اكبر منهم ؛ لكى يصيبوا من العلم بالمراة مالا يعرفون ؛ فلا عجب اذا انطلق بنا الحديث فى تلك الليلة عن اقيسة الجمال وحدوده وتعريفه ، وسرى الحديث بيننا خلال الساعات وانا منه مسرورة جذلة ، وراح احدهما يقول بسبيل ما كنا نتحدث عنه : ان « اختك » جميلة بل قد تكون اجمل منك ، وان لم تكن لها فتنتك ، ولم تصب حسن قدك وجلال مظهرك . ولا شيئا من ذكائك وادبك

فتلفت فجاة صوب الباب ، فما كان اشد دهشتى اذ رايت زوجى واقفا لديه ؛ ولم نكن سمعنا حركته ولا وقع قدميه وهو قادم . ولم ادر كم لبث فى موقفه

واضطرب الغلامان من مباغتته هذه والغضبة الظاهرة على محياه . . فاستاذنا وانصرفا فجاة

وما كاد الباب يغلق وراءهما حتى انطلق فى فيض من الشتائم والسخرية المسمومة القاسية

قال : اذن انت زوية ان تدنسى فراش الزوجية وتلوثى شرف الطفلة ، وكانت تلك اخف سبابة واهون شتائمه

وحاولت الاحتجاج ولكن احتجاجاتى لم توقف تيار سبابه بل مضى يقول : لقد استطعت ان ابقى عليك شريفة عفة كل هذه السنين ، فاذا بك اليوم تشاغلين الفتيان لانهم من السذاجة والغفلة بحيث لا يعرفون اية شيطانة تكونين

وكذلك طفق يرتع فى عرضى كما شاءت له غيرته الحمقاء العمياء الحانقة ! .

وكانت اختى قد اعتزمت العودة الى البلد فى الاسبوع التانى ، فأجمعت امرى على السفر معها لاقيم فترة من الدهر بجانب أهلى ؛ واستريح ردحا من غيرته وريبه ، فلما نبأته بنيتى ، قام بيننا شجار عنيف وانذرنى بأنه مغلق البيت وحابسى فيه اذا لم انصع لحكمه

ولم تكن هذه اول تهديدة من نوعها سمعتها من فمه ، ولم أكاشفه بموعد سفرى وتركته يمضى فى ذات صبح الى عمله فارتحلت فى سكون وخلسة .

وفرح اهلى بمقدمى والطفلة ، وكانت تلك أياما طيبة ، نعمت فيها بمجالس واصحاب وصواحب اعرفهم من زمان ويعرفوننى ، وفى دار احدى الصواحب لقيت طبيبا اخصائيا فى امراض الاطفال ، فلما رأى طفلتى ووفرة عافيتها ، وامتلاء بدنها ، اعجب بها الاعجاب كله ، فراح يقول : لقد دلتنى ، التجارب فى صناعتى على ان الاطفال الاصحاء هم فى الاغلب نتاج اقران السعيد الذى يمسكه الحب وتغذيه هناءة الزوجين ، وقلما يرى المرء زيجات تعسة تثمر من الذرارى ثمرات طيبة ناضجة

ولم اكن الى ذلك العهد فضيت الى احد من خلق الله بباساء عيشى وخيبة زواجى ، فلما قامت الصداقة بينى وبين ذلك الطبيب الوديع ، الكريم القلب ، انتهزت فرصة زياراته لنا فى ذات مساء فمضيت اقص عليه خافية عيشى ، فلما انتهيت قال اريد ان اعلم الا تزالين تحبين زوجك ؟ قلت : اتسألنى هل احبه لقد مضى على زمان طويل اسائل نفسى فيه ابدا . اترانى احببته يوما ، ولا ريب فى اننى لم اكن اشعر له بهذه العاطفة فى ذلك الحين ، اذ لو كنت اشعر بشىء من ذلك له لآلمنى ذلك

المسلك منه فى حقى ، ولكنى لم اكن احسّ من ذلك الما ، بل كنت مستخفة غير آبهة ، وفى بعض الاحايين لروح انظر اليه وهو ثائر متمرد حانق كانما انظر الى ممثل يلعب دورا على المسرح

قال حقا ان حالة زوجك من الحالات النفسية الغريبة ، ولقد كان لتعليم أمه وايحائها اسوأ الاثر ، واحسبها لاتزال شديدة السلطان عليه ، فلم لاتتركينه وتأخذين معك طفلتك ؟ . ان من نكد الدنيا على المراة العاقلة اريبة مثلك ان تصبر على عيش كدر منغص مع زوج ضعيف الارادة مجنون الغيرة كزوجك ! ومن اسوأ الاثر فى نفس طفلتك ان تدرج وتنمو فى جو عاصف كهذا ، وافق تهب عليه الزعازع العاتية . .

ولكنى لم اجد فى النفس قوة على مواجهة هذه الفكرة ، وخفت انقالة واشفقت من ان تلوك الالسنة سيرتنا وتمتضغها الافواه . . .

وعدت بعد بضعة اسابيع الى بيتى . ولم ار ذلك الطبيب بعد ذلك ، وما اشد حسرتى اليوم على انى لم اعمل بنصيحته وتركت عيشى يسوء عما كان من قبل وتظلم اليوم طامته

* * *

رباه . ! لا ينفتح هذا الباب ! هاهو ذا المسمار الاخير قد بدا يتفكك ، وها انا قد دفعت الباب من موضعه اخيرا ، وتعثرت عدية اطلب سرير طفلتى فتلقيتها فى ذراعى الممتدتين لها وهى مغرورقة العين بالعبرات ، وضممتها مليا الى صدرى ، ثم انثنيت البسها ثيابها ، واقدم لها طعام فطورها بينما راحت فكرة خاطفة كالوميض تلتمع فى خاطرى ، وهى الخروج من هذا السجن الاليم ، والالتجاء الى اى مكان آخر قبل ان يعود زوجى ، اذ ما يدريني لعله قاتلى اذا وجدنى قد فتحت باب محبسى

ولكن الى اين المسير ، والى من المفزع . .

خطرت لى صديقة تقيم غير بعيد عن حينا ، فاحتملت الطفلة وهرعت الى دارها فلم أجد غير وصيفة لها عجوز ، فتركت طفلتى فى ذمتها وربما اعود بعد ساعتين لاخذها ، وكانت نيتى ان اذهب الى الطبيب التمس عنده النصيحة واستعين ببعض الاصدقاء على توكيل محام عنى ليطلب طلاقى من هذا الزوج الذى رنق صفو حياتى بجنون غيرته ، وخشيت ان آخذ الطفلة معى ، فقد كنت فى حال من الرعب والاضطراب لاتوصف ، وخفت ان افقدها فى زحام المركبات والسابلة

والتقيت بالطبيب فحدثته بجلية الخبر ، فذعر لقصتى وحار فى امرى ، فلم يدر كيف الخلاص من موقفى ، غير ان يستعين باحد المحامين ، فاتفق على ان نرفع الامر الى القضاء فاطلب طلاقى منه وابقاء الطفلة فى حضانتى

وهدأت ثائرتى ، ورأيت فى ذلك الحل السريع بارقة الامل ، فعدت ادراجى مسرعة الى بيت صديقتى فلقيت حارس المصعد ، فاذا هو مضطرب يحاول الكلام معى ولكنه لايفعل ، فلم افهم ماذا جرى

وجاءت الوصيفة العجوز تفتح الباب فاذا هى فى دموع تقول : ان الطفلة قد ذهبت .. !

وعندئذ ادركت فحوى الامر قبل ان اسمع مايقال لى ، فقد جاء زوجى فى غيبتى فاختطفها عنوة واقتدارا ...

واحزنه . ! لقد كانت الاسابيع التالية اسوأ مامر بى من عهود الحياة ، ولم اكن ادرى علام تنتهى هذه الملمة التى وقعت بى ، وحاولت مرة ان اتملى من وجه الطفلة فاذن لى المحامى الموكل عن زوجى برؤيتها فى محضره ومع بعض رجال الشرطة ، وكانت تحملها مربية ، فما كادت الطفلة ترانى حتى اضطربت وبكت وجعلت تصيح : أماه . ! أماه . خذينى اليك ...

لقد كان ذلك مشهدا فتت كبدى على مراى فلذته تبكى ، واعقب ذلك موقفنا فى ساحة القضاء ، وكان المحامى عن زوجى رجلا مدرها مفوها ، فراح يدلل امام القضاء على اننى اختطفت الطفلة ، واننى اخون زوجى مع رجل آخر ، وجاء باشهاد شهدوا على خيانتى ، فلما طلب اليهم ان يعينوا عشيقى ، كدت اخر مغشيا على ، اذ سمعتهم يذكرون الطبيب .

اواه . ! كيف يحدث ذلك أيها الناس ، باسم العدالة . ! لقد كانت تلك كلها اكاذيب وفريات مصطنعة

وانتهت المحاكمة ، وقضى القضاء له بأخذ ابنتى ...

وكانت هذه الملمة سببا فى التقريب بينى وبين ذلك الطبيب الرحيم وهو اليوم يعلم اننى احببته فيما مضى من زمانى ، ولم يكن يومئذ يحبنى عليما ...

وكان زواجنا بعد اشهر معدودات ...

بنك مصر

شركة مساهمة مصرية

س.ب.ت - ٢ - القاهرة

مؤسس الصناعات الكبرى وشركات "مصر"

مركزه الرئيسى ١٥١ ش محمد بك فريد "عماد الدين سابقا"

يؤدى جميع أعمال البنوك

فرع الاسكندرية - ١٩ شارع طلعت حرب باشا

للبنك فروع ومكاتب وصناديق بأهم مدن القطر المصرى

وله مراسلون فى جميع أنحاء العالم

قسم صندوق التوفير يشجع على الاقتصاد والادخار

قسم تأجير الخزن الحديدية - الايجار بشروط مناسبة

أحدث ما أنتجته المصانع الانجليزية من الأصواف الرجالى لفصل الشتاء

وصلت إلينا مجموعة من الاصواف الانجليزية الفاخرة بمناسبة حلول فصل الشتاء نعرضها بأسعار معتدلة رغم ارتفاع اسعار الصوف فى انجلترا

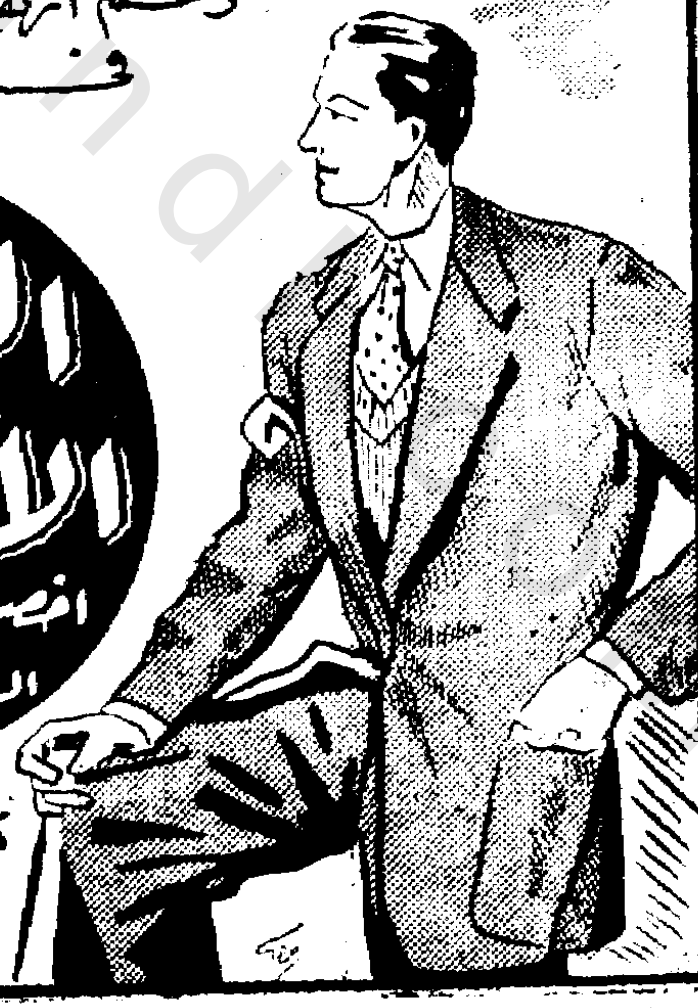

الصالون الأبيض

امام قسم الاصواف الرجالى : سلام احمد

٤٢ ميدان الأوبرا بمصر

تليفون ٤٧٩١٦

س.ت ١١٣٦٩

انفرطت عذة اعوام منذ وقعت احداث هذه القصة ولكنى لاازال اشعر بالتهيب والخرف ، وانا الساعة ادون الوقائع واقص النبأ ، واسرد الحقائق التى ظلت الى اليوم مخبئة فى صندوق فؤادى ، لايعلم أحد بسرها ولا يدرى مخلوق بخافيتها ، ولم اعترف لاحد يوما بها ولاكاشفت طبيبا بآلامها ، ولا فزعت الى محام استنصحه فى أمرها ، ولا بثثت مافى أعماق النفس من مواجعها لصاحب ولا لصديق .

لقد كنت أريد ان احمل قصتى هذه معى الى العالم الاخر ، حيث صلاح كل شىء فسد فى الارض ، ومآب كل سر ، ومعاد النفس وما تخفى وما تعلن

ولكن لماذا جئت اذن اليكم اقصها ..؟؟

لا ادرى ... الا اننى أريد ان انفس بها عن صدر مثقل بالآلام ، او لعله ضعف منى أختلط بأمل مستطيل دفين ، وهو ان تكون هذه القصة رسالة حب الى الذى تدور عليه قصتى وله فؤادى كله ، ومعه هواى ، واليه على اجنحة الخيال تأويبى ...

* * *

وقع الذى وقع عندما كنت فى الثامنة عشرة عقب خروجى من المدرسة ، اذ تعثر ابى فى علة قاسية ، فنصح له الطبيب

بالمقام فترة من الدهر على ضفاف البحر بعد سياحة بحرية ، فاتتوينا انا ووالدتى أن نذهب معه ، وما كنت ادرى والله ان الحياة كلها معلقة على تلك الطوفة ، رهن بتلك السفرة النائية ..

وابحرت بنا الباخرة فى الخامس من شهر اغسطس ، وقد حفظت ذلك التاريخ ، ومثله فى تاريخ الحياة وشؤونها لا ينسى ولا يمحى من الذاكرة ، لانه اليوم الذى كان فيه لقائى ... به !

ولم يكن فى لقائنا غرابة ، بل كما يتلاقى الناس على صدور الجاريات فى البحر ، ويعدوهم الجلوس معا الى موائد الطعام ، والخروج الى ساحة الجارية للنزهة واستشراف البحر المترامى

ولكنى منذ أول شدة بيده على يدى ، رحت ناسية الزمن ، أعيش فى افق متورد مزدهر ، لا يقاس فيه الزمن بالساعات واجزاء الساعات ، وانما بالقفزات على سطح الباخرة والاحتجابات ، وبخطران شبحه على العين ، وغيابه عن الناظر ، فكان هذا هو الحب الذى يقول الناس عنه أنه يقع من أول نظرة ، وما كان فى فؤادى منه جرى مثله فى مسرى الكهرباء فى أضواء نفسى.

ولم تكد الباخرة تلقى مراسيها فترة حتى تمت بيننا الخطبة ، وتمنع أبواى فى مبدأ الامر ، وكان هذا التمنع أمرا مألوفا ، لانى كنت ابنتهما الوحيدة العزيزة الغالية ، ولم يكونا يعلمان قليلا ولا كثيرا من امره ، على حين لا يكاد الجليس اليه يقضى بضع دقائق حتى يجده على أحب ما يكون أدبا وخبرا ورقة ، وكان فى ذلك العهد يشتغل وكيلا لاحد المصانع وطيد كبير الشهرة ، فذهب ابى من ساعته فتحدث الى أصحاب المصنع وعاد الينا مسرورا راضيا عن الخطبة قرير العين ، واغرى امى بالقبول وهى فى بكاء ودموع ...

واها لتلك الام المسكينة ... لقد كانت تطمع فى أن تظفر لى بزواج كزواج الاميرات ، لما وعهابالابهة والبذخ وعيش الترف ، ولكن ارتقابها الظهور فى حفلةالقران كأم العروس وتجملها بأبدع الثياب ، وتهاديها رافلةفى الدمقس والحرير ، خفف بعض المها ، وهون عليها بعضالاسف الذى كانت تجده فى أعماقها .

وانثنت اخيرا تقول على بركةالله اذن يابنية ، فلنعج على اكبر المدائن لنبتاع جهازك ، ففعلنا ،وتركنا ابى يتم سياحته فىالبحر وذهبنا نحن ننفق الكثير من المال ونبتاع خير مانجده من النفائس والمطارف

وكذلك انقضى الصيف ، وفىنهاية شهر سبتمبر عدنا من سفرنا ، وكنت انا وهو نريد أن يتم الزواج فى نوفمبر ، ولكن أمى كانت تود أن نستانى ،فنترك الزفاف الى اوان الربيع ، اذ كانت تكره العجلة فى كل شىء وتحب أن تجعل زفافنا باهرا وتعد له اكبر المعدات ،وتحيله حديث المدينة واهلها

ولكنه كان عليه ملهوفا فلم تكن من حيلة للتأجيل . فحددنا لحفلة الزواج الثالث من ذلك الشهر ، واخذت المعدات تعد فى عجلة لذلك اليوم المنتظر والفرحة الموعودة ، وحالت المجامع والحفلات والمآدب بيننا وبين الاستمتاع بالخلوات ، حتى لقد ذهب ذات مرة يقول ونحن عائدين من احدالمراقص : ماقولك يافاتنة فى الخروج اذا بكرالصبح على الجواد الى نزهة وحدنا فى معارج الفياض ؟

قلت أبدع بها من نزهة ،فلنا الله لم لم نفكر فى هذه الخاطرة الجميلة قبل اليوم ؟ ، تصور كيف تكون مسرتى بالخلو اليك ساعة كاملة لاينازعنى فى خلوتى اليك منازع

فضحك واهوى على يقبلاته ،وهو يقول يالك من صغيرة

وراح الجـوادان يمشيان متلاصقين كأنهما فاهمان ماهنالك !

ساحرة ... اذا قضى الله يومان نفترق فلن أعيش فى هذه الدنيا ولن أحيا يوما

وكذلك وجدنا الصباح الباكر قبل نهضة العالم من المضاجع على جوادين لنا نريدالمتنزه ؛ وكأنما أدرك الجوادان مايراد منهما فراحا يمشيان جنبا الى جنب متلاصقين يهزان رأسيهما كأنهما فاهمان ماهنالك ..

يالله ! ماكان أهناها ساعة .واملاها بالمسرات نزهة على انفاس الصباح وسكينة الكون .ولم أكن أصدق ان الساعة قد انتهت عندما نظر الى ساعته ؛فقال لقد حان الاياب .

فقلت دعنا نفعل ذلك كل يوم

قال وهو كذلك

وجعلنا فى كل صبح نبكر الى تلك النزهة ؛ وفى بعض الاحيان نعرج على احدالمطاعم ؛ فنتناول طعام الفطور فيه .

وكذلك ولت بنا الايام حتى لم يبق على يوم العرس غير اسبوع

فقالت امى يوما : لقد اخذت للوحين تحيلة ؛ تذكرى يابنيتى انك اذا اوقدت الشمعة من طرفيها استنفدت الضياء وشيكا ؛ فخذى من هذه النزهات الباكرات على قدر ؛ وتناولى من النوم كفاية بدنك حتى تحفظى عليك جمالك ياغالية

قلت ركبة اخرى ثم نكف يا أماه ...

ولما ركبنا فى صبح اليوم التالى ؛ رحت أقول له برنة أسف وحزن ونحن عاطفان بجوادينا نحو المتنزه : هذه هي ركبتنا الاخيرة

فضحك قائلا : نعم يا آنسة ولكنها غدا متكررة للعروس

فهممت بأن اجيب ولكن وقع فى تلك اللحظة ذلك الحادث الذى غير وجه حياتى ؛ حادث بسيط ولكنه ترك فى العيش اثرا لاتمحوه الايام أذهبت انفاس الريح العاصف فأطارت غطاء رأس

رجل من السابلة في وجه جوادي ، فكر ثم فر ، وتوثب مجفلا ، وفي لحظة رعب وهول وجدتني اسقط عن صهوته ، وما لبث أن غام الكون كله في عيني ، ورحت لا أعي شيئا ..!

وبعد ساعات ثبت الى نفسي فاذا انا في ألم شديد والوجوه منحنية علي ، والاصوات تتهامس حولي ، ولم أدر ماذا جرى ولا ادركت الى اين جيء بي ، ولا حفلت بالبحث ، بل كل ماكنت في حاجة اليه هو النوم ... النوم العميق ونسيان الالم الذي يفت في سائر اجزاء بدني

ومضت أسابيع لست استطيع اليوم على وصفها جلدا ، فحسبي أن أقول انني لبثت في المستشفى حتى ختام الشتاء ، فلما خرجت مبلة مما أصابني ، كان أصحاب المصنع قد ألحوا عليه في الرجوع ، فانتظر حتى زال عني الخطر واطمأن ، فلم يجد مفرا من العود فعاد ، ولكنه كان على وشك الرجوع الينا وكنت في لهفة على لقائه

ففي ذات صبح ونحن جالسان انا وامي في حجرتنا نشتغل بتطريز ثوب جديد مضيت أقول لها : يا عجبا يا أم ، كأنما كنت تتكلمين بلسان القدر ، وهاهو ذا الامر سيقع كما كنت تريدين

فنظرت الي امي حائرة وقالت ماذا تعنين ؟

قلت أعني العرس و لاريب ، لقد أردت أن يكون اوان ربيع ، وهاهو ذا القدر قد ارجأه الى الربيع فماذا تقولين ؟

واذا بي ارى الدمع يترقرق في عينيها وانثنت تقول ـ ملقية الثوب من يدها ومطوقتي بذراعيها ـ اي فتاتي العزيزة ، لم يهن علي حتى الساعة ان احدثك بما جرى ، لانك كنت واهية القوى ، انني اخشى انك ستضطرين الى ترك فكرة الزواج جملة واحدة ، او على الاقل لاينبغي التفكير فيه حتى تكاشفي خطيبك بكل شيء

قالت : من عجب كل شيء !ماذا تعنين يا اماه ؟.. أحالت بعد ذلك الحادث الحال ، أم تنكر الزمان ؟

فتلعثمت أمي قائلة : كلا يا ابنتي ، لقد كانت اصابتك داخلية عندما سقطت من فوق صهوة الجواد ، وكان لابد من اجراء عملية جراحية عاجلة لنجاة حياتك من مخالب الموت ، ولقد كانت عملية خطيرة ، وكانت نتيجتها انك لن تلدي اذا تزوجت اولادا . ولن تقع لك نعمة البنين .

أهذا اذن ماوقع ، وكنت منه خلية الذهن ؟..

ونهضت من مجلسي فمشيت متعثرة مترنحة الى مخدعي فاحتبست نفسي فيه ، اذ اردت أن اخلو الى التأمل والتفكير ، ولبثت ساعة مستلقية على الفراش أجهد الذهن في تدبر أمري ، فكان ينتهي بي في كل مرة مطاف التفكير الى نتيجة واحدة ، وهي انني لا استطيع تركه ، وليس لي على فراقه بدان . . .

لقد كنت أبدا احب الاطفال فقد كنت من طفولتي وحيدة في وحشة خلية من الاخ والاخت ، فلا غرو اذا كان قد جاء مع فكرة الزواج الشوق الشديد الى ولادة الولدان ، ولذة تربية البنين ، ولذاتنا نحن معا وبنينا سويا ، وما أبدع خطيبي أبا ، وما أروعه ان يروح بعد الزواج والدا ، وكنت على يقين من ان شعوره من هذه الناحية لايختلف عن شعوري ، ولطالما رأيته حانيا على الاطفال ، رحيما بالافراخ الصغار ، فلا يرى طفلا في ألم او وليدا في بكاء ، حتى يقف ليسأله مابه ويرقأ دمعه ، ويمسح عبرته ، فاذا هو تزوجني فسيتطلع ولا ريب الى الذرية ونعمتها عندي . واذا كان ذلك ما سيرتقب مني فهل لي الحق في الزواج به وحرمانه تلك النعمة الى الابد ، ولكن هل في استطاعتي وانا أجمع الاضالع على هذا الحب العميق له أن انزوي جانبا لارى امرأة سواي شاغلة منه مكاني ، لا لهفوة

هفوتها ، ولا لخطأ من صنع يدى ؛ وانما لحادث لم استطع له ردا ..!

وحرت فى أمرى فأجمعت النية على ان ادعه يقطع فيه بالرأى الذى يراه ، ونهضت فى الحال فذهبت الى حيث كنت امى لاتزال جالسة تسائل نفسها : اتراها قد اخطأت فى مكاشفتى أم اصابت فقلت وانا مقبلة عليها ، متناولة فى يدى يدها : أماه العزيزة ، لقد انتويت ان اواجه الحقيقة ، فاذا جاء غدا — وفى غد سيصل — فلينبئه ابى او الطبيب بما جرى ، فاذا ظل بعد علمه به يريدنى لذات نفسى رضيت به ، واذا رفض فلا لوم عليه ولا تثريب . .

وعشت ليلتى تلك وغدى رهن قلق مستحوذ اليم

وجاءنى أخيرا ... فجمعنى بين ذراعيه ، وامسكنى مليا لصق صدره ، وهمس يقول : انت وحدك التى اطلب ، وانت منتهى الذى اتمنى ، أمدركة ياغالية ، أنت وحدك ، لا بالولد احفل بجانبك ولا بالبنين ...

وبعد شهر من ذلك التاريخ تم الزواج ، وكانت هدية العرس التى اتحفنا بها أبى ، قطعة ارض فسيحة فى ضاحية قريبة ، فذهبنا من مطالع عهدنا الجديد نفرغ قصارى سعينا فى بناء البيت والحائط وتجميله من الزهر والثمر بما شاء لنا الذوق الجميل ..

وهنا أنا عيشنا فى السنين الاولى من زواجنا ، حتى خيل لى أن الغمامة التى كانت تنذرنا بأن تغيم فى سماء عيشنا الهنىء قد قشعت

ولكن فى ذات يوم بينما كنت ابحث فى بعض الحقائب اذ عثرت على صورة فتوغرافية لى يوم كنت طفلة فى الحول الثانى فهرعت بها طافرة من الفرح اليه وكان جالسا الى المنضدة يكتب ،

فالقيت الصورة امام عينيه وقلت انظر ، اتتبين فى هـــذه ظـل زوجتك .

فجلس يتأملهـــا طويلا وهولايحـــير جوابا ، ثم القى يديه فجأة حول خصرى وراح يدفن وجهه فى طيـــات ثوبى وغمغم يقول وكتفاه يرعشان من فرط التأثر : آواه يا عزيزتى

قلت جازعة ماذا بك يافاتنى ؟

فخلانى من ذراعيه ، وامسك براسه بين كتفيه واخذيبكى .. ففهمت ....

* * *

وقضى ابى نحبـــه ، وجاءت امى لتعيش معنا

وكنت قبل هذا العهد اصحب زوجى فى رحـــلاته بين حـين وحين ، ولـكنى ، أدركت ان ذلـك لم يعـد ميســورا لاننى لا استطيع ترك امى وحدها .

وبدأ الانفصـــال بيننا لاول مرة منذ عهـــد الزواج ، وانى لاذكر جلستنا على مطالع المساء السابق ليوم الفراق . فقد أوت امى الى مخدعها عقب العشاء ، وراح هو يستلقى على جلد الدب بجانب الموقدة ويناشـــدنى ان اغنى له لحنا

وكنا فى عتمة المساء ولم نشأ ان نضىء الانوار ، فمشيت الى المعزف وانشيـــأت اعزف وفراق الغد غالب على خاطرى واغنى الاغنية الآتية :

ماذا انت صانع ياحبيبى اذا انا فى غد ركبت البحر مفارقا . ماذا انت فى غد صانع اذا جاءت الانبـــاء من بعيد تحطم آنية الحب وتذهب من وقعها الاليم بالعهد ، الا لا تذكرى ذلك ولا تتخيليه ، فاننى على العهد باق ، وعن الوفاء مسؤول ، ولـــكن اذا قاســـمنى فؤادك مقاسم ، وشاركنى فى حبك مشارك ، فلن

اطيق القسمةولن احتمل ، فماذ أصـــنع يا حبيبى ، وما افعل يا فاتن الفؤاد ...

* * *

وتبين رنة الدموع فى تضاعيف صـــوتى ؛ فقام من استلقاءته فالقى يده على كتفى فى حنـــانوقال هذه اغنية محزنة فى ليلتنا هذه ففنينى قطعة مفرحة فذلك خير ..

فـكفكفت عبراتى وغنيتـــهماشاء ..

وفى الغداة قبل اوان الفراق دس رزمة صـــغيرة فى يدى ، وهمس قائلا : لئلا تنسينى

ولمـا انصرف اخذتهـــا الى مخدعى ففتحتها فاذا هى علبة بديعة دقيقة من الذهب مرصعة بالجواهر ولهـــا زنبرك تضغطه بأنملتك فينفتح الغطاء ، فضغطته فاذا بوجهه الضـــاحك البسام يطالعنى من جوفها فى صـــورة دقيقـــة مركبة فى ايقونة حلوة غالية ، فوضـعتها لصق قلبى حيث هى الى اليوم ثلاثين عاما كاملة ..

وبدا شهر الغياب الذى غابه عنى حافـة طـــويلة فى عينى طول الابد ، وعاد اخـيرا يحمل البشرى بأنه قد عين مديرا عاما للمصنع ، وانه لن يضطر بعـدذلك الى السفر وانما سيقتضيه المنصب الجديد الطواف بالفروع وانشـــاء مركز للادارة ولـكنى قلت فرحة ضاحكة على كل حال لن يفرقنا بعد اليوم سفر ولن نضرب بيننا نوى

ولـكن الاعوام الثـلاثة التى تلت ذلك مضت وزوجى اكثر وقته فى غيب ، وانا منه فى فراق اليم ، ولولا أن امى كانت فى مرض شـــديد لمـــا ترددت فى اغلاق البيت واللحاق بزوجى لاعيش فى اكنافه واتفيأ ظلاله الوارفة ، ولم يلبث ان اقيم معرض عام لمتاجر المصـــنع فاحتجزه هـــذا المعرض عنى الصيف كله ، وقد تعب من العمـــل فآثر ان يقضى شهرا فى مسارح الصيد ، وقد

ضرب هو وجماعة من الرفاق الخيام على مسيرة اميال عديدة من الحضر فلم يستطع أن يكتب ، وغابت عنى رسائله ، ولكم بت ساهرة العين ارعى النجم وافكر فيه واخاف عليه أن ينتابه فى تلك القفار سوء ، ولكن تلك الفترة التى قضاها فى الفلاة أجدت على صحته ، فعاد ملفوح الوجه نشيطا اجمل من قبل .

وفى اليوم التالى اشتدت العلة بوالدتى ، فالزمتها الفراش ، وما كاد اسبوع ينقضى على رجوع زوجى الى عمله حتى وافتها المنون فمضت فى الذاهبين

وكان رحيلها فى سكون ، فلم اشأ أن ازعج زوجى بنعيها وآثرت له الراحة وهدوء البال

ولما قضيت للراحلة حقوقها ، سرحت الخدم واغلقت البيت لاننى اردت ان التمس منه الفرار ، جازعة من الم الوحشة ، احوج ما اكون الى تبديل الهواء وطيب النقلة لكى يجىء فى مختم الشهر كما كنت ارتقب وانتظر ، فيجدنى رغم الحداد على امى متهللة للقائه ، موفورة العافية لمقدمه ، فنعود الى سالف عيشنا لانفصل اخر الدهر ولانفترق .

ولكنى كنت حيرى لا أدرى أين المكان الصالح والموضع الطيب الذى يحسن الذهاب اليه ، وتصفو عنده الحياة ، ويستقر حوله السكون ، فاستجم عنده من النشاط ، واسترد اعصابى المحطمة الواهية

ولكنى مالبثت أن تذكرت فجأة موضعا حسنا أجد فيه كل ذلك ، على ضفاف بحيرة حسناء ، كنت فى عهد الطفولة قد قضيت صيفا من العمر كان أهنا ايام العيش وأرغدها وأجمل ما فى الحداثة من ذكريات

وما هى الا أيام معدودات حتى الفيتنى جالسة فى سفينة فندق يطل على مواه البحيرة ويشرف على مشهد الطبيعة الباهرة ،

وكان سحر المكان قد اسكرنى وبدا لى افتن مما كنت اذكر له من فتون ، وجلست ممسكة بكتاب اتطلع الى الاولاد وهم يرتعون على الضفاف ويسبحون على صدر الماء ، فعادت نفسى تهفو فى انس البنين وعاد بى الحنين كما كان منذ سنين

وحملنى الخيال على ان اختار من بين اولئك الصغار صغيرا وادعوه بينى وبين نفسى طفلى وصغيرى ، وكان وليدا ما احسبه تجاوز الحول الثانث بعد ، وسرنى ان لداته الصغار جعلوا ينادونه باسم زوجى العزيز

وبينما انا فى احلامى هذه وتخيلاتى ، اذ دلفت نحوى سيدة تنصف بها العمر ، فجلست بجانبى وكانت ثرثارة حلوة الثرثرة ، تعرف من شئون الناس اكثر مما يعرفون من شئونها ، فسالتها عن « طفلى الصغير » فانطلقت تقول : اتعنين الوليد ذا الفروع الصفراء كانها من سبائك الذهب صيغت ، الا ترينه جميلا بديعا ، تلك امه الجالسة عن كثب منا ، السيدة ذات المظلة الحمراء ، انها والله لا تزال فى مرح الطفولة كوليدها وهم يجيئون للمقام بهذا الموضع مرة كل عام ، وهذه المرة هى الثالثة ، وقد جاء ابوه العام المتصرم ، فاذا هو رجل اغيد مليح ، وهو بابنه هذا صب كلف ، يحنو عليه الحنان كله

ودق الجرس الى موائد الطعام فدخلنا اليها جميعا وجاء مجلسى بجانب السيدة ووليدها الصغير ، فتجاذبنا الحديث وانست كل واحدة منا الى جليستها ، وان كانت هى حيية لا تطيل حديثا ، وانما تحنو على صغيرها لا يشغلها عنه شاغل

ولما نهضنا عن الموائد دس الطفل يده فى يدى واقترح ان يرينى سمكات له صغارا فى دلو على الشاطىء

ولما سرنا الى السمكات راح يقول فى لثغة الاطفال انا احبك . وانت لطيفة جميلة ..

ومن ذلك العهد اقبل على بنفسه واصبح اتبع لى من ظلى، وجعل يناديني امى الاخرى ، واحسست له حبا عميقا هو هتاف الامومة المكينة من غريزتى الحبيسة فى صدرى . لم تجد من قبل متنفسا ولم تر لتبعتها مغيضا

قلت له مرة اود لو ان امك وهبتك لى

فنظر الى مليا وراح يفكر فى صمت ، ثم انثنى يقول اخاف ان لا يرضى ابى الا اذا اخذته هو كذلك

وكأنما اعجبته هذه الفكرة ، فمضى يصفق لها ويضحك ملء فمه قائلا: انه سيأتى غدا فلتسأليه وستأخذنى امى الى المحطة لاستقباله

ولكن فى غد لم يتح للصغير ما كان فى امسه يتمنى ، اذ اصاب حجر فى مخاض الماء قدمه فجرحها واحتجزه الجرح عن المسير .

فقلت لامه : دعيه فى رعايتى ، ولما رايتها تتردد توسلت اليها فرضيت شاكرة .

حقا لقد كان ذلك فى الحياة يوما مشهودا ، منذ مضيت وطفلى ساعات معدودات ، اضاحكه واسليه وانسيه ابويه ووحشة الوليد الى والديه ، واخذته ساعة النوم فى احضانى فجعلت اغنى له اغنيات الطفولة حتى اخذ انكرى فى رفق بمعاقد جفنيه

وكانت امه قد تركت مفتاح حجرتها معى ، فقمت به لارقده فى مهاده ، ولكنى ما كدت اقف بعتبة بابها حتى جمدت فى مكانى لا استطيع حراكا ، لقد اخذت عينى على المنضدة صورة زوجى فى اطار مجمل

ومشيت بالوليد الى سريره ، فاضجعته وغطيته بغطائه وانا راعشة الاوصال وانحنيت عليه فطبعت على وجنته قبلة راجفة!

وانتبهت الى نفسى بعد لحظة فوجدتنى جالسة فوق فراشى والعلبة الصغيرة التى ظلت لصق صدرى كل ذلك الدهر الطوال مفتوحة بين يدى .. يا لله !.. هاهو ذا الوجه وجهه والصورة صورته !..

رباه ! ماذا عسيت ان افعل ، وهو عما قليل قادم ، لا ينبغى ان يرانى ولا ينبغى لمخلوق فى العالم ان يعرف السر ، او يدرك الخفية ، أن لى الحق الاول فيه ولكنى احمد لربى صنيعه ان انسانى حقى ، وانهمنى نسيانه ، واوحى الى النزول عنه

أن هذه العشيرة الصغيرة تعيش اليوم فى رغد ، ولو اننى حطمت آنية هذه الهناءة وهدمت هذا الفردوس الذى تنعم بافيائه وخمائله ، فما نفع ذلك لى وما جدواه ، وما الذى عندى احبو به الرجل الذى احببته ، فيقوم عنده مقام هذا الوليد البديع ، والصغير الغالى

ولم اشعر فى فؤادى بحقد على زوجى او ضغن او غضب ، فقد ادركت الدافع وعرفت الباعث

وآذنت الخامسة وحان موعد وصول الوالد الى وليده ، فهرعت الى مهد الطفل ، فايقظته فى رفق وحنان والبسته ثوبه ، وكان يطفر وينتزى كالعصفور الفرح على فننه ، وتناولت مقص الصغير فاقتطعت لى خصلة من سبائك شعره ، وتركته على صغير القاطرة يتلفت هاربا الى البهو يتطلع الى القطار القادم غائبا عن حياتى الى الابد

يا للطفل العزيز الجميل .. تراه اليوم قد نسى امه الاخرى

واتخذت مكانا خفيا وسمعت صوت زوجى وهو يتلقى طفله مناديا الى الاحسان يا زينة الحياة ..!

وتركت المدينة بقطع من الليل .. واويت من ضجيع الحياة الى منعزل هادىء صامت لا يعرف الناس فيه من خبرى شيئا ، والى اليوم لم يبق لى من الماضى سوى نفيسة واحدة هى الى الساعه لصق صدرى اثرا من ذلك الزوج الذى ضحيت بالحياة كلها فى سبيل هنائه

تلك خصلة من شعر وليده الذى كان دهرا ينادينى يا امى الاخرى ..!!

الدار المصرية الصميمة التي تعتز بمصريتها
تقدم لكم أسبوعيًا

المجلة القومية المستقلة
يوم السبت من كل أسبوع

الأهرام

المجلة الفنية الأولى في الشرق
يوم الإثنين من كل أسبوع

المجلة القصصية التي تنقل إليك أفضل ما انتجته
قرائح أدباء الغرب : يوم الأحد أسبوعيا

الهلال

المجلة الوحيدة للأطفال
يوم الخميس من كل أسبوع

جميع المجلات بالروتوغرافور الملون بمطابع دار الهلال

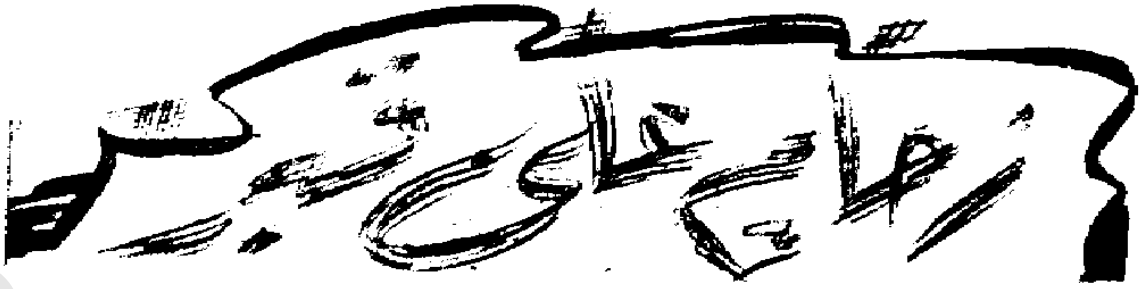

كان اليوم بديعا والارض ترسل انفاس العبير ، والشمس تعدل الى المغيب ملقية على الغبراء شعاعها الاحمر ، حين وقفت على قبر [illegible]

وفى تلك المقبرة التى تحتوى اجداث الشهداء فى حرب ماضية [illegible] والرياح وخب السموات تصلح من الارض ما افسدته الحرب وتكسوها ثوبها القديم الناضر . وراحت تلك القبور تتراءى ساكنة هادئة تحت زرقة السماء التى اختلطت بضياء الشمس ؛ كل منها يضم جنديا قضى فرحا مستبشرا ، او حزينا غير مستبشر فى سبيل وطنه وعشيرته ؛ وتحت دافع وطنيته . وبينها اجداث كتبت عليها اسماء الضاجعين تحتها فى مرقد الابد ؛ وقبور غفل من الاسماء لا يدرى الطائفون بها ان تكون .

ومشيت ميممة الجانب الغربى من صفوف القبور ، ثم انثنيت امشى وئيدة متثاقلة الخطى الى بهرة المقبرة ، وانتزعت من بين طواء ثوبى دفترا ؛ فاستشرته وتكفأت اطلب المشرق وانا اغمغم لتفشى قالة : اخشى ان يكون قد اخطا تعيين البقعة . ثم عدت استشير خريطة صغيرة جئت بها معى ودفترى الذى فى يدى واخذت اعد القبور من الشرق الى الشمال فما لبث نظرى ان استقر على

شاهد ابيض لايختلف عن غيره من الشواهد البيض التى حوله فمشيت نحوه قدما ، وهناك ركعت فى سكون وخشوع . فقرات هذه الكلمات على الجدث

« الضابط ف .. ، قتل فى الموقعه فى الثانى عشر من شهر سبتمبر عام ... »

واعل القارىء متسائل عن اكون وما جملة امرى ، وما باعث منقلبى الى تلك القبور اطوف بها .. وجوابى اننى فتاة لا بالفارعة انعود ولا بالقصيرة بل بين ذاك قوام ، ذات شعر فاحم وعينين سوداوين ، والذين يعرفوننى يقولون فتاة مليحة اوتيت فى الحياة رزقا حسنا ، وفى العيش توفيقا ورغدا ، فتاة لم تألف مسارة اصحابها الفتيات بذات صدرها فى وقت تستطلع فيه كاشحة الناس بما يعتمل فى فؤادها . وانما كل سرى وهما هم نفسى لا بوح بها الا لصديق يدعى .ح .. كان رفيق ف .. فى الحومة وعاد منها يحمل الى سمعى كلماته فى محتضره

وكان حديثى عن صاحبه حديث اسى واشجان وايمان بحبه ، واطالما مضيت اقول اننى ساظل على عهده آخر الدهر ، واجمد على موثقى له الحياة كلها

وكانت الخطبة قد تمت بيننا على احسن ما تتم الخطبات بين المتحابين المؤتلفين اختار كل منهما صحبه ، واصطفاه لعيشة وشركته فى حياته وامره ، والذى زاد فى فرحنا بالخطبة انها جاءت بديعة وليدة حب لا يعرف غير التفانى ، وحنان لا يؤمن بغير التلاشى فيمن يحب والفناء

وما كادت بضعة اشهر تنقضى على اعز فرحات الحياة حتى قامت الحرب والتحق بالجيش ومضى فى الذين راحوا يهطعون الى الميدان ، وذهب كذلك صديقه واعز صحبه عليه ، وكنت ارى فى عينيه بريق الاخلاص الطاهر العف الجليل

للفتاة التى احبها صديقه واختارها لنفسه ، ولكنه لم يشأ ان يدع شيئا ينم عما فى نفسه من الحب لى مخافة ان يدفعه اليأس الى تنغيص هناءة صاحبه وفتاته .

فلما وقفنا وقفة الوداع قبيل صفير القاطرة الراحلة بالجند ، انتبهت الى الصديق فأعطيته صفحة وجهى لقبلة الوداع ، حنانا منى ورحمة . اذ لم تكن لم فى الفتيات من صاحبة ولا خطيبة يتودع منها بالقبلات ، رايته يجمع قبضتيه ويغمغم كاشرا عن أسنانه وهو يقول فى خفية : لا ينبغى ان يعود كلانا من الحومة حيا ، وادعو الله من اعماق فؤادى ان يكون هو العائد وانا الذاهب لا رجعة لى ولا عودة

والتزمنى خطيبى فامسك بى لصق فؤاده مليا وغمغم يقول : انتظرينى ايتها الغالية ، سأظل وفيا لحبك حتى اعود ، وكنت اومن به واعلم انه لقسم عظيم وموثق لانكث فيه ولا حنث

ولما عاد ح .. وحده ذهبت اليه فى لهفة اسأله اين ترك صاحبه ، فعلمت وياسوء ماعلمت ، لقد عاد الذى كان يود أن لايعود ، ولم يرجع الذى ود أن يرجع !.

وطفق يتحدث عن شجاعة صاحبه وثباته وبسالته فى الميدان ، ويعود الى الحديث غير متململ ولا ضجر ، فاعلنته بنيتى قائلة : لن يملك فؤادى من بعده احد ... فلما سمع كلمتى هذه امتقع وجهه ، وساد سكون رهيب فلم يقل شيئا ..

وفى ذات يوم راح فى جلال وحزن بليغ يشكو لى حبه الدائم لايفنى ، ووجده المقيم لايموت ، ويسألنى ان اتقبله زوجا فأبيت ولكن فى رفق ، وعادت بنا الخواطر الى ف ... فانثنى يقول اذا وجدت لى يوما حبا فى فؤادك فعودى الى فساظل فى انتظارك حتى تحين ساعتى ، فاذا لم تعودى كنت اسعد واهنأ لاننى اكون قد بقيت الدهر على حبك .

وانفرطت ستة أعوام

واحسست رغبة مستحوذة تدفعني الى زيارة قبر خطيبي فسافرت من يومي الى مشهدايام القتال وساحته ، وفي المحطة قبل أن يقاني القطاروقف ح .. لوداعي فقال في لهفة ووجد كظيم : انني منتظر ..!

ولكني بضحكة عصبيةراعشةالرنين قلت له : ابحث لك عن فتاة غيري في غيبتي

وتركته في مكانه مبهوتا حزيناواجما ...

وهكذا جئت من سفرتي الىذلك الموضع ، ووقفت على قبر حبيبي لاقول له مرة اخرىماقلته له في الحياة عن ايماني به واخلاصي اليه ، والوفاءالدائملذكراه ، وترامیت على القبر ابكيه وابلل احجاره بالعبرات والذراعان مشتبكتان محدقتان بشاهده ، وانشأت اقول : انني على العهد باقية ، ان الحياة بعدك قفر موحشة ، ولا يفهماحد مابي ... او يدرك ماعاني وسكت لحظة ثم عدت اغمغم قائلة : الا صديقك وحده فهو الذي يشعر بحزني ويدركلوعتي ...

واهويت بفمي على القبر ،فجعلت اقبله بحرارة . كانما احاول أن ارد الرجل الذييتوسد تحته الى الحياةوانشره من قبره واعيده الى جانبي .

واحسبني لبثت في موضعيبضع ساعات بين دموع وصلاة وتوسل الى الله ان يعينني علىالمضي في حياتي وحيدة لا انيس ولا صاحب .

وذهبت متعبة كليلة الروح ،وانثنيت اترك المقبره ، ولكني ماكدت اسير غير بعيد حتىشعرت بحنين الى الرجوع لاتودع بآخر نظرة من قبره ،فلما درت على عقبي ، والعينان لاتزالان مبللتين بالدموع ، غائمتين بسحائب العبرات ، رايت امراة وصبياً يتاهزالسادسة راكعين أمام احد القبور ، وايديهما مشتبكةاشتباكة الصلاة والترحم

والدعاء ، فدلفت منهما فى سكينة ورفق وقلبى مفعم رثاء وعطفا على الارملة والغلام اليتيم ، وفيما انا اقترب من قبر حبيبى ، تبين لى ان المرأة والصبى راكعان امام قبره بالذات فتأملت لحظة ثوب الحداد الذى اشتملت المرأة به ، وكان وجهها مدفونا فى راحتيها ، وبدا لى الصبى نظيفا حسن الثوب ، فقلت فى نفسى ان هذه الام ولاريب اولى بها أن تفخر بطفلها الوسيم الجميل

ومشيت اليهما فقلت للمرأة :معذرة ياسيدتى ... اذ خطر لى ان المرأة ربما لاتعرف القراءة فظنت انها قد وقفت بالقبر الذى تريده

فرفعت وجهها واختلجت فى اعماق نفسى خالجة شديدة ، اذ ادركت اننى قد وقفت حيال امرأة حسناء لم اشهد فى حياتى اجمل منها ولا املح ، وبدا لى ان جميع احزان الدنيا واساها قد استقرت على معارفها لتطالع الناس منها اسطرها البليغة الناطقة .

ونهضت فى رفق فكانت كل حركة من حركاتها جمالا رائعا وملاحة بادية ، وتجلى حسن تركيب بدنها على رغم كثافة الثوب الاسود الذى اسبغ عليها. وراح حسنها الظاهر على وجهها يتكشف فى كل حركة ، وسكنة ، وميلة ، ونظرة ، وكان يلوح عليها انها متعلمة مهذبة على رغم رخص ثوبها ، وكان وجهها أبيض ناصعا فزاد بياض الوجه من حمرة الشفتين ، وكانما اقتطع ذقنها وانفها الدقيقان من المرمر ، وراح شعرها الفاحم البراق مسترسلا على فوديها ابدع اطار لاجمل محيا ، وكان حاجباها واهدابها فى سواد فحمة الليل تطل من احتهما عينان متوسلتان شاكيتان تعلنان الدنيا باحزانها ...

وقفت تنظر الى لحظة ، ثم ترنو الى طفلها اخرى ، واذا

ببريق باهر مؤثر قد التمع فى عينيها ؛ واخيرا انثنت تجيبنى قائلة : هل خاطبتنى ياسيدتى ؟

قلت : عجبت لوقوفك بهذا القبر

فقالت بكل بساطة : انه زوجى ...!

فتولانى الرعب ولكنه لم يطل اكثر من لحظة واحدة . اذ ابتسمت فى حنان وادراك ورثاء وقلت ولكنه قبر الضابط ف...

وهو لم يتزوج قط قبل استشهاده !.

قالت : وانا زوجه ، وهذا الغلام غلامنا

وابرقت العينان المفعمتان المابريق الفخار بالصبى ، وقد وقف بجانبها وامسك بيدها ونظر الى وجهها بعينيه السوداوين الذكيتين

وعندئذ خطفت بذاكرتى صورة شمسية لطفل صغير ارانيها ف ... فى بعض ايامنا الرغيدة ، وقال هذه صورتى فى طفولتى

وتبينت قرابة الشبه بين الصورتين . فنظرت نظرة واجفة ورجف قلبى وتهدج صوتى ذرحت اقول كانما اناجى نفسى ولا اخاطب المراة الواقفة حيالى. ولكن ايكون ذلك ؟ ... الذكرى خطيبى ، وكان آخر ماقال لى : سأظل وفيا لعهدك .

فبدت فى عينيها نظرة سخرية مناقضة وصاحت تقول : اواه !. احق ما ارى ... انت اذن م... ياسيدتى ؟

فاطرقت اطراقة صامتة . وحبس الالم لسانى فلم استطع قولا . وفاض فيض الاسى على صدرى . فوقفت مروعة ماخوذة لاارىم حراكا ...

وجثت على الثرى ، وتشبثت بطرف ثوبى وانطلقت تقول : آواه !. اغفرى له ياسيدتى ، واصفحى عنه الصفح الجميل . فقد كان ذلك كله خطئى انا واللائمة فيه لائمتى ، فقد اقام فى بيتنا قرابة شهرين قبل ان يدعى الى خط النار ، فاحببناه جميعا وما لبثنا ان احسسنا اننا كذلك نعرف الفتاة التى مافتىء يتحدث الينا عنها ، وقد شعر كل منا بميل الى صاحبه .

واعطيته صفحة وجهى لقبلة الوداع جنـانا منى ورحمة

ولكنا حاولنا التباعد . وامساك هذه العاطفة قبل ان تنمو وتتمادى فتغلبنا على امرنا ، ومالبث اخواى ان ذهبا الى الحومة ، وجاءت امراة من القرية فاقامت فى البيت معى لترعى الجنود وتقوم على خدمتهم ، وفى يومين متعاقبين وردت ثلاث اشارات برقية تنعى الينا عشيرتى اجمعين ، ووجدنى « ف » باكية منتحبة فى معزل ، فلم يستطع مجاهدة ارادته فتناولنى فى ذراعيه وضمنى الى صدره . فلم أقاوم ضمته ، ولم أتملص من امساكته ، نعم ، لم أفعل وان خطرت لى صورتك الحلوة العذبة الفاتنة التى ظل يحملها فوق صدره ولصق فؤاده .

واخيرا ، انثنيت اقول له : و . . . م . . ما مصيرها . ؟

فعاجل فمى بقبلة وقال : آواه لها ! انى احبها اكثر من الحياة ، واما انت فاحبك اكثر من الشرف ، تزوجينى بالغالية قبل ان اهطع الى ساحة القتال . فما كان منى انا الضعيفة المحزونة الا ان استسلمت وتقبلت واستكنت الى الاحتواءة فى ذراعيه .

وتم الزواج بيننا فى يومنا ، وتلاه اسبوعان انغرطت فى الفردوس ، واتصرما فى جنة الارض ، وما لبث ان دعى الى الحومة . وفى ليلة الوداع مضى يقول لى انى احبك ، واحبها كذلك ، ولقد حنثت بموثقى لها ، وعصيت داعى الوفاء للحب ، ولبيت فيك داعى الشرف فاضرعى الى الله ان يلهمنا من امرنا هذا رشدا .

وانطلق الى الساحة ، واجاب الله صلاتى فقضى الذى احببناه معا ولم القه منذ ساعة الوداع الاخير

وتحفزت فى جثوتها ، ورفعت راسها رفعة الجلال والكبرياء وقالت : انى اسالك الصفح عنه ولا اسال عن ذنبى صفحا . . .

ووقفت فى مكانى لا ابغى حراك ، راجفة الاوصال ، عصية المنطق .

وخطفت عيناها ببريق باهر . واسترسلت تقول انت فى عيش فاضر فى بلدك ، وحال راغدة بين قومك ، اما نحن هنا ففى

فقر شديد واسى بالغ ، وانت موفورة الصحة مكتملة العافية، اما انا فمريضة بعلة القلب من اثر صدمة اصابتنى حتى اضحيت لا استطيع القيام على تربية ولدى ، ونحن نقتر على انفسنا ونحتمل الخصاصة ، وانت الناعمة الرافلة تنفقين من المال غير باخلة على النفس ولامقترة، ولكن لاتحسبى فى فؤادى حقدا عليك ، ولا انا عليك نافسة ، وانما كل الذى ارجو اليك هو ان تصفحى عنه وتغفرى له مافرط من ذنبه .

وامتدت يداها المتعبتان من طول الكدح فى البيت والعمل للرزق ، فى توسل وضراعة ، ثم نهضت فمشت فى رفق منصرفة.

ووقفت جامدة الحركات بضع لحظات ، ثم مشيت منصرفة فى وجهى ورحت انظر الى هذين المخلوقين الحزينين التعسين اللذين تقدمانى على الطريق ، بعين عمياء يغشاها سحاب الدموع وغاشية الهم والاسى .

أواه ...

لقد سقط معبودى عن تمثاله، وهوى من أوج العالى ، فقد حنث بيمينه ، ولم يخلص لى فى حبه

وعاودتنى هذه الخواطر فلم تترك فى نفسى حنانا ولا اثارة من رحمة ، وانما بقى فى فؤادى شمم جريح ويأس ممض . واذا بالعبرات تكف من مدمعى على خدى الشاحبين ، واذا عاطفة الصفح ، والايمان والحب ، قد فاضت فى اعماق نفسى ثجاجة فوارة مندفعة ، فأسرعت الخطى ثم عدوت الاحق المراه وابنها ورحت أناديها . لقد صفحت. والتمس منك المغفرة لما فرط من قسوتى وغلظة فؤادى ! !

فالتفتت نحوى مجفلة ، ثم وثب الى عينيها بريق فرح متلألىء ، وتلاه ظل الم بليغ مستفيض فغام عليه وحجبه ، ورفعت يدها الى فؤادها كانما تمسك دقه ، وتهدىء من خفقه،

وراى صبيها هذه الحركة منها، وكان قد اعتاد رؤيتها من قبل وادرك مايعقبها فعدا مطلقاساقيه للريح ليستدعى امراة قروية قريبة من الموضع

وما كاد الغلام يبتعد حتى ترنحت امه وكادت تسقط الى الارض لو لم اعاجلها فاسندها الى ذراعى . فرفرت زفرة مستطيلة وقالت بصوت متقطع النبرات : لقد دنت الخاتمة ، فاناشدك الله ان تاخذى الصغير الى ملجأ اليتامى من بعدى فقد مات اهلنا ونحن اليوم وحيدان من الدنيا ، لا اقارب لنا ولا اصحاب ولا مال

فأومأت براسى ثم اكببت عليها فهمست اقول : ايهنؤك الرحيل اذا علمت اننى آخذته معى الى بيتى فقائمة عنك بتربيته ... هذا موثقى لك وعهدى !

ولكنى لم اسمع جوابا ، وانما رايت سمات السكينة والفرح والطمانينة قد شاعت فى وجهها الحزين الاليم ، ومحياها الساجى سجوة الغم والاسى ...

واغمضت عينيها آخر عهدهم بنور هذا العالم !

وكان الصبى قد وصل فى تلك اللحظة مع المراة القروية فاحتملت الراحلة الى كوخها الصغير العارى الاجرد مما فى بيوت الناس من متاع

لقد ذهبت تتلقى زوجها فى السماء

ومشيت منكفئة الى القبر فحنوت حياله خاشعة مشتبكة اليدين ، ساكنة العين والفؤاد ، وقلت فى رفق ناجى الضاجع نداء خفيا : لقد صفحت ... لقد عفوت ..

وانتبهت من غشيتى على مواقع اقدام صغيرة دقيقة ، واذا الصبى واقف على راسى وهو يقول فى جلال وجد : هنا ابى يرقد . لقد كان شجاعا ، وكانت امى تحبه ، فهل انت التى كان

يتكلم عنها كثيرا ، لقد سمعت امى الساعة تناديك كذلك ، فان كنتها حقا احببتك كما كان ابى يحبك ، انا مثل ابى ، وامى تقول انا به شبيه فخذى عنى حبه ؛ نعم ؛ اننى احبك ياحبيبة ابى وصديقته ...

ووقف يتمسح بثوبى وينحنى على وجهى بوجهه .

قلت والعبرات تخنقنى : وانا احبك كذلك ، كما احببت اباك من قبلك وامك ، والآن ياطفلى العزيز ، وصورة ابيك الغالى ، سنذهب لنعيش معا ؛ ونعود الى بلدنا والى صديقنا ح ... الولى الحميم ..

يتشرف

ش.ف. كاسترو وشركاه

بأن يعلنوا عن وصول سيارات

رووع

موديل ١٩٥٠

وهى معروضة الآن فى صالات العرض الآتية

القاهرة: ٧٩ شارع ابرهيم باشا ت ٤٦٤٠٣

الاسكندرية: ٦٣ شارع فؤاد الأول ت ٢٦٠٩٤

أسيوط: شارع المحطة ت ٢٧٦

الاسماعيلية: احمد بك ابرهيم عطا لله ت ٧٩

المنصورة: شارع طاهر العرى ت ٢٢٧١

ت ١٤٩٩٨

الم تنظر يوما الى مشهد ماكان لك ان تشهده ، وتلقى العين على شيء ماكان يدور بخلدك انك يوما عليه ملقيها ، كابتسامة طفل نائم يخيل اليك انها ابتسام السكون وضحكة العالم المجهول الذى لاحد له ؟. او كانبثاق اول خيوط الفجر على صفحة البحيرة وامواهها الساكنة الصافية .. نعم ، الم تاخذ يوما عينك مشاهد تستدر الشئون وترسل الدمع من العين صيبا منهمرا ، وتثير فى فؤادك احساسا غامضا جليلا . نصفه دهشة ، ونصفه الم ؟..

اذا وقع لك فى الحياة شيء من ذلك ، فانت اذن مستطيع ان تتصور مبلغ ماخالجنى من الاحساس ، يوم رايت حنان الامومة الملهوف البليغ فى صمته ، الرائع فى صورته ومقتبله ، على وجه السيدة « ب » . فقد رحت اتمثل فى الخاطر مشهدا جرى على السنين . وتمادى مع الاعوام ، سنين سادت خلالها فؤاد الام لهفة الامومة . واعوام نما فيها مع اوليد حنان الوالدة ، اعوام مضت فيها تلك الارملة الشابة التى مات عنها بعلها فى الاشهر الاولى من مولد طفلها ، تمسك بذلك الوجه الدقيق الندى الجميل ، وشعره الفاحم المنتشر تفاريق فى جلدة راسه ، فتضمه الى صدرها . وترضعه افاويق لبانها ، ثم اعوام اخرى

ذهبت خلالها تداور خيباتها ، وتتناسى مناكد عيشها ، وتتعلل بعذب الامل ، واعدة نفسها . ان الارض وما حوت من خير ووفر وهناءة ورغد ، ستكون غدا لوليدها يتقلب فيها حيث يشاء.

واكبر ظني انها كانت عن طواعية تخوض الجحيم ، وعن رضى تصطبر لاشد العذاب في تلك السنوات الاولى من عهد الطفولة ، اذا كان في خوض الجحيم والاصطبار لعذاب الحريق مايعينها على ان تاتي بما لا تستطيع ام ان تاتي به لارضاء طفلها ، وما يسعفها على ان تقرب من يديه المتطاولتين مايلتهف عليه ، ويبكي لطلبه ، فوالله لقد كانت في كل ذلك اشبه شيء بكلب مخلص امين حيال سيده المتغير المتقلب . تفرح لفرحه ، وتبكي لبكاه ، وتاسى على اساه ، وتأخذ من نفسها لنفسه ، وهي معه ابدا في حالتي بؤسه ونعماه .

وكذلك هي الامومة عند بعض الامهات ، تأتي مستحوذة غالبة ، فتتلاشى الام في الولد ، وتتفاني الروح كلها في فلذة الكبد ، ومشهد امومة كهذه والله اليم ، ومراى حنان كهذا الحنان يستثير الرحمة ويروع الخاطر والوجدان .

* * *

وكان مجلسهما ابدا قبالتي على مائدة الطعام في البيت الذي نزلنا به لمسكن وطعام ، هو في ممتشق قده ، وفينان عوده ، كانه صورة « ابوللون » ، رب الشمس عند اليونان ، وهي في مسحة من جمال دائل ، واثارة من حسن ذابل ، وزرقة عينين نسطع فيهما حينا نظرة الامومة المدهشة المبهوتة اذ تشهد ان ولدها قد عاد الفتى المديد العود ، الملفوح الوجه ، المفعم البدن صحة وقوة وبأسا ، وقد اراه وهو يروح ويغدو ، ويجيء وينصرف ، خفيف الحركة ، بادي النشاط ، منفرج الخطو ، منسرح المشية ، وامه تتبعه النظر ، وترسل العين في اثره ، وتلم به قبل ان يلم بها ، وتدانيه وهو قادم من بعيد عليها .

لقـــد جاهدت لاجله اعوام الحاجة ، وغالبت ايام الفاقة ، وناضلت عهد طفولته البأساء ، وكانت يومذاك تكدح لرزقهـــا ورزقه ، خياطة مأجورة فى متجر للازياء ، حتى اضـــحت كبيرة الحائكات فيه .

واخـذت نفسها بالقصـــد فى النفقه ، حتى اجتمع لها من المال ما استعانته لتكفـــل لولدها من العلم والتربيـــة والتحصـــيل مايصيب الشباب فى اهل طبقتها من المجتمع ، ولما اراد ولدها ان يسلك نفسه فى احـــد الاندية الخاصة خلال ايام دراســته ، راحت تداب وتواصل العمل ليل نهار حتى استجابت لامنيتـه ، وذللت له مطلبه .

ولاتحسبن الفتى مؤثرا ذاته متناسيا حق امه عليه ، انانيـا لايحفل بغير مناعم عيشه واطايب الحيـــاة يؤتاها غير مســـئول ولا طالب ...

كلا ، بل لقد كانت امه تتكتم عليه دأبها ، وتذهب ترتهن بقية ما ابقى الدهر من غاليها ونفيسها ، لتوافيه بكل بهيج ، وتحبوه بكل حباء طيب جميل . وما احسبه كان راضيا عن خطتها لو انه كان بها عليما ، ولكنه كان فيما يرى من استخفاف الشباب لا يكرثه السؤال عن الوسيلة ، ولا البحث عن شىء يطلبه فيجده ، من اين جاء وكيف تحقق ، وكان يفزع ابدا الى امه كلما خاب امل ، ويركن اليها كلما استبطأ رجاء ، وهو عليم انها لو استطاعت أن تحرك الجبال الرواسى من مستقرها ، وتبلغ يدها الســـماء وافقها فى سبيل التوفية بحاجته ، والرجوع بطلبته ، لما ترددت ولا تأخرت ، وبفضل سعيها المحمود ، ونفوذها المســـموع ، ما لبث اصحـــاب الحانوت ان رضوا عنه وارضوه لجمال وجهـــه وشـــدة فتوته ، ومظهره الحسن الرائع الاخاذ ، وتبديه فى الحانوت خير عنـــوان لحسن الادب ، وخدمة المشترين ، وكان ابدا مسرة العين وفرحـــة الناظر ، فاذا خرج من المتجـــر ساعة الظهـــيرة للغـــداء خفقت

قلوب كثيرات من النساء لمشهد ودارت نحوه الاعين والابصار ماخوذة بجمال مطلعه ، وكانت عيناه ترنوان ابدا بنظرة استخفاف بالحياة ومنزع الى الهوى والعبث ، ولكنهما لاتخلوان من نظرة الصدق والطهر والنقاء ، وذلك أثر ادب امه وعنايتها بتهذيبه من حداثته ، وكانت امه في تلك الاعوام الاولى من عهد نموه واقتبال شبابه ، قد بعثته الى لامتحن فهمه لاسرار الحياة ، واخبر دراكه للحقائق

وكنت رجلا عرك الدهر ، وذاق في الحياة الحلو والمر ، فرحت ابصره بها وافتح عينه لوهادها السحيقة ، فكان يفزع الى بطلب النصيحة ، ويقبل على بدافع الغريزة ، يلتمس عندى الراى وحسن المشورة

وفى تلك الاحديث والخلوات اليه جعلت اتبين فعل مغناطيسية نفسه ، وشعر بمبلغ امتلاكه للقلوب ، وصنع سحره في الافئدة

وكان السخط على هذا العمل المهين الذى اصابه في الحياة ، يتسلل حينا الى حديثه ، ويغلب حينا على أنغام صوته ونبرات لهجته ، وكنت وانا جالس في حجرتى ، اسمع نتفا من حديث الام وولدها ، يحملها الهواء الى مسمعى من باب البهو او النوافذ المفتحة ، اذ كانت حجرتى لصق حجرتهما ، فكنت اتبين من سقاط ذلك الحديث ونثيثه ، ان الفتى غير راض بقسمته ، ملتهف على اتيان الفعل الجسام ، متبرم بالعيش ، متململ من ان الحياة لم تبسر له ناهزة ، ولم تلق بفرصها المؤاتية في طريقه

ولكن اكبر ظنى ان ذلك الشاب على رغم سخطاته العارضة على الحياة وشكاته كان على الدهر سيرتضى الحياة كما هى ، وينزل على حكم المقادير وما قدرت ، لو لم تعرض له في ذلك الصيف فتاة كان ابوها الجراح الكبير الطائر الذكر بجانب يساره الموروث ، ونشبه الطائل ، وكانت دارهما قصرا بديعا ، يأخذ العين جماله ، وهو مرتاد الصفوة المختارة من اهل المدينة ومختلف وجوهها وعيونها الظاهرة .

وبتلك الحرية التى تسود نفوس اهل هذا الجيل ، وتقرب بين شباب هذا العصر كان هو وهى من افراد ندوة واحدة ، واعضاء رفقة مشتركة ، ومالبث الناس ان رأوهما اكثر وقتهما مختلطين ، يمشيان الى نزهة ، او يعودان من طوفة ، او يجلسان معا الى حفل ، او يرقصان فى المجمع ، هى بمرهف قدها وبهى جمالها ، وهو انفارع الاغيد الوسيم

ولم يكن يخفى على احد فعل الحب ، فقد كان يبدو للعين النصب المستهام ، ولكم شهدت الحب والالم يعتركان فى نظرات عينيه السوداوين

وكانت الفتاة كذلك تغالب عاطفتها وهى تعلم انه ليس من طبقتها ، وتجاهد الحب عن فؤادها وهى مدركة ان لا امل من وراء حبه وحبها ، اما هو فكان يناضل ويغالب فى سبيل سعادته ، وهناءة عيشه ، كدأب الشباب فى النضال ، وديدنهم فى المجاهدة والغلاب ، بتلك الفلسفة التى آمنوا بها ولما يؤمن بها المجتمع ، وهى ان الحب لا يعرف طبقات ، بل يسوى بين الدرجات ويتخطى الحواجز والعقبات

ولست اشك فى ان ابويها سيدالان لها على حماقة الزواج بفتى رقيق الحال ، يشغل مكانا مهينا فى متجر

واضنى الجهاد العاشق والمعشوقة ، وجعل الحب والهيام والتوق واللهيف تتدفق وتفيض على محيا الفتى كلما نظر الى الحسناء الهيفاء البديعة «ل..» بعينيها النجلاوين ، وفمها العقيق الدقيق المرتسم ، تلك الفتاة الغواية المشغوفة باللهو والمراح ، المستخفة بتقاليد طبقتها ، بل ذلك النوع من النساء اللاتى يدفعن الرجال الى الجنون بهن غير عامدات ولا متجانفات لغواية مدبرة ، وخطة مرسومة .

ويخيل لى انه كان يجاهد فى سبيل امتلاكها بذلك السلاح المرهف الذى ما ان يزال الشباب يجاهد به ويناضل من اول

الدهر ، وبداية الخليقة ، بل هو ذلك الحب الطاغية الجبار المستميت المستبسل يبدو جبارا رهيبا فى مشهده ، جليلا فى مبتداه ومطالعه .

وساقنى الاتفاق الغريب فى ذات ليلة الى مطعم فخم أنيق فى المدينة هو مغشى الشباب ومختلف السروات ، لاتناول طعام العشاء فيه ، فاذا المكان غاص بالناس . والعذارى الحسان فى انضر الثياب ، رائحات غاديات بين الموائد والصفوف ، وقد ارتفعت الاصوات ، وتعالت الاحاديث ، واستطال التهامس بين العاشقين والعاشقات .

وبين طنين الهمس والحديث ، طرق سمعى فجأة صوت رقيق حلو النغم مفعم تشدانا وتوسلا وعتبا ، ولقد راح يقول لسنا نستطيع ان نمضى ايها العزيز على مانحن فيه ماضيان ، فنحن أكثر ليلنا ونهارنا مجتمعان ، واهلى وغير أهلى قد اخذوا يتحدثون احاديث غريبة شاذة عنا .

وسمعت صوت رجل يجيب ، فاذا هو الفتى المتكلم المتحدث ، وقد اندفع يتكلم بلهجة المستهتر الساخر ، وقد أفلتت منه ضحكة قصيرة عجلى خاطفة ، وكنت اعرف تلك الضحكة والنظرة التى تصحبها ، ضحكة مستخفة ساخرة تخالطها قسوة .

قال : وهل تحفلين بما يقولون ؟ وماذا يقولون ! هلا نبئتنى بأقاويلهم

فمضت الفتاة عاثرة فى منطقها تقول : انهم يشيعون اننى تخليت عن الطبيب « ف » ، واننا خطيبان قد تمت بيننا الخطبة ، وانت تعلم ياعزيزى اننى سأتزوج به ، وقد نبأتك بذلك من قبل ، فهو صديق لابى حميم ، وقد تعاقدا على الخطبة فى العام المنصرم ، فأولى بنا ان نكف واخلق بنا ان نزدجر ، فاننا والله ظالمان لنفسينا ، بل كل لصاحبه ظالم !

فراح الفتى ينادیها قائلا : لو كنت حقا تحبيننى ماجلست الساعة تنبئيننى بانك غدا متزوجة برجل آخر .. آواه !.

وبدت على وجهه الذاحل أثر الشهوة المسرفة

انت تحبيننى ، وقد كاشفتنى بالحب ، والان تريدين هجرى ظلما وغدرا ! .

فسمعتها تتوسل اليه قائلة :دعنا ننهى الامر اليوم ونقطع فيه برأى فاصل ، نعم ، لنكف عما نحن فيه من الساعة وان كان ذلك موحشا اليما قاسيا !ولكنه والله خير من ايلام نفسينا واهون الما ...

فلم أستطع أن أسمع اذذاك ماغمغم به صوته واضطرب به منطقه وأنا منصرف من المطعم فى عجلة وقد اختلست نظرة الى وجهه المكفهر ، وعينيه المنكستين المفعمتين كمدا والما .

حقا لقد كان كل يحب صاحبه بكل قوى حياته ، وكل وجدان نفسه ، ولو ان فتاة اضعف منها كانت فى مكانها لما استطاعت ان تقاوم حبه الطاغية الاخاذ المتغلب .

ولكنها بيديها القويتين، يديها اللتين جعلتا بعض الاحايين ترعشان على قوتهما وترتجفان كانت ممسكة باعنة العاطفة ، تحاول كبح جماحها ، اتقاء الاسترسال مع الحب ،والذهاب ابعد المذاهب فى الهوى ، حيث النسيان والنزق وحماقة الصبا، ولا عجب فان فتاة مثلها ،اوتيت تهذيبها وادبها ورعاية ابويها ، واحيطت بالحب والنصيحة والاخلاص من جميع جهاتها ، وادركت جنة صاحبها بها ،لايعقل منها ان تثب الوثبة الخطرة ، غير مقدرة مواقع خطوها ، ولا حافلة بما يكلفها ذلك من ثمن .

واكبر ظنى انه صحبها فى ذلك المساء الى دارها فكان وداع ، لالقاء بعده ولا اجتماع ، لاننى سمعت صوته فى حجرته وقد آذنت التاسعة وهو يتحدث الى امه حديث فؤاده ، فقد مضى يتسخط على الحياة عامة ، وعلى اغاليط المجتمع ،وأكاذيب الدنيا، واحتفال اهلها بالمال والحسب والنسب ، وذهب فى منتحب وسخط يقول لها : انها والله لدنيا كاذبة ، وعالم سافل منكر، يريد من الفتى أن يهب الفتاة التى ملكت عليه لبه فى بداية

امرهمـا ، ومهـد حبهما ، مالم يستطعه ابوها الا على فترة من السنين وحقبة طويلة من الاعوام .

وسكت لحظة وهو مطلق للدمع فيضه ، ثم عاد يقول : الا اعلمى يا اماه اننى لا أطيق صبرا ، ولن أحتمل عنها تخليا ولهـا تركا ، انهـا ملك فؤادى وهى بـذلك عليمة خبيرة ، يا عجبا لها كيف تسول لها النفس تركى ؟ واى قلب قد من صخر قلبها ! . انها تحبنى ولا تجـد للرجل الاخر حبا ، ثم تأبى الا ان تدعنى للحب يحطمنى ! فخير والله ان أراها فى الهالكين ، ثم لا أراهـا لذلك الرجل زوجا ، بل لخير أن نموت معـا ، فمـا نفـع العيش الى الثـلاثين او مرد التعمـير الى الخمسين ، وقد تحطم الامل ، وتفتح فى شغاف القلب جـرح غير مندمل !

وسمعته ينشج وينتحب نشيج رجل ونحيبه ، وانه والله لنشيج مخيف ! ونحيب كـانه زمجرة الوحش المعذب .

وطرق اذنى صوت امه وهى تواسيه وتحـاول تخفيف الهم عنه ، ثم ساد سكون .. ولكنى لم البث ان عدت اسمع وقـع قدميه وهو من الحجرة منصرف ، وطرقت اذنى بعد ذلك حركة امه وهى تخطـو فى الحجرة ذهـابا وجيئة ، فبدات خطى مترددات خفاف الوقع ، ثم أخذت تسرع وتشتد ، ثم تلاها سكون طويل وصمت مطلق ...

وفى صـبيحة اليوم التالى ، وافانا الفتى وحـده الى مائدة الفطور ولم تحضر والدته ، وكان وجهه ممتقعا ، وعيناه منكسرتين متغبتين واتخـذ الى الخـوان مجلسه صامتا ، واقبل على طعامه واجما ، ولكنه ماعتم ان التفت الى قائلا ـ وقد اجتذب ساعته من جيبه فتطلع اليها ـ عجبى لغيبة امى ! فقد ظننتها قبـل مجيئى قد وافتكم الى المـائدة ، فخير لى اذن ان اناديها .

ونهض عن المـائدة فمشى الى حجراتهما ولكنه لم يطل الغياب ، بل عاد يقول اننى من امرهـا لفى عجب ! . ان باب مخدعهـا

موصد ، وعهدى بها لاتغير نظام عيشها قبل ان تخبرنى بما تنتوى ، وتنبئنى بما عليه نجمع الراى .

فمضيت معه الى الباب فعالجناه فاذا هو لا يزال موصدا ، فرحت اقول فى سكينة مجاهدة مصطنعة وان كان فؤادى خافقا واجما : اخشى ان تكون مريضة ، فيحسن ان نقتحم عليها الباب

وانت أيها القارىء فلتسم احساسى فى تلك اللحظه نبوءة الوجدان ، او فلتدعه هاتفا من هواتف النفس : أياما تدعوه ؟ فقد شعرت بما نحن عما قليل واجداه خلف الباب الموصد

كانت عيناها مغمضتين كأنها فى نوم هادىء ، وكان وجهها ساكنا وان لم يخل من أثر الضنى والجهد الاليم ، فكانه نوم النائم الحزين يلتمس فى الغمض بلسم النسيان .

وبهت الفتى مما راى وغشى الخطب الفادح على لبه ، فلم يصدق عينيه

وقضيت طيلة هذا النهار بجانبه أواسيه وهو ينتحب ويرسل حشاشة نفسه دمعا سخينا على هذه الكارثة المباغته ، الداهمه

وفى اصيل ذلك اليوم جاءته الفتاة تشاطره لاىء ، ولكن عناقاتها وكلمات الرثاء اللينة العذبة من فمها لم تذهب بحزنه ، ولا وقعت فى ذلك المجلس موقعها الماضى من حبة فؤاده ، وقضى اليوم يلهج بذكر فضل امه الراحله ، ويرسل فى مديحها كلمات حارة لطالما كانت فى الحياة تتوق لسماع طرف منها ، وقد ادهشنى من الفتى ادراكه فضل تلك الام الرؤوم عليه ، وعرفانه تضحياتها وحبها العميم المكين له . . ولكنه راح يسال نفسه ويسالنى سحابة ذلك اليوم الحزن الاليم : ليت شعرى ! لماذا فعلت ذلك ؟ . لماذا فعلته . لماذا ختمت الحياة على هذا النحو ؟ .

وكان الجواب يحترق فى حنايا فؤادى ، ويزدحم فى خاطرى

يريد خروجا ، ولكنى امسكت فلم اقل شيئا ..

وبذلك انحنان الذى ابدته تلك الام فى الحياة قد القت فى يد ابنها بموتها تعويضا عن خسارته .. خمسة الاف من الجنيهات ، فذلك هو القدر الذى كانت مؤمنة به على حياتها ، فقضت لكى يكون هذا المال من بعدها حقه ينعم به

وضرب الدهر بيننا ، فرايته بعد بضعه أعوام فاذا هو لا يزال فى ربيع الشباب ، ولكن عينيه السوداوين قد انطفأ منهما ذلك البريق السنى ، الذى كان يشع منهما قديما فى نظرات بريئة صراح ، وبدت على وجهه تناحل اثر الشهوة المسرفه على نفسها المتحاربة فى ميلادينها الفسيحة المترامية ، فقد بدد ذلك المال كله ومضى يختلط باهل الشر ، ويركب للشهوات كل مركب ..

ان امه بتلك التضحية الاخيرة المجنونة الجسور قد ابعدت الى الابد من منال يده أمله الاكبر ذلك الامل الذى بذلت من أجله حياتها وعصارة نفسها ، اذ لم تكد توسد الثرى حتى اخذت السنة السوء تشيع فى المدينة انها قد ضحت بنفسها ليصيب ابنها بموتها مبلغ التامين على حياتها ، ويصيب مع التامين الهناءة والرغد ، وسمعت الفتاة تلك بالقاله ، فكأنها نهض بينها وبينه منذ ذلك اليوم جدار شاهق ، وسد منيع لن يزول الى الابد .

وتزوجت «ب» الطبيب الذى خطبها ، وكان آخر عهدى بها فى المدينة منذ أعوام ، فاذا فى عينيها نظرة اليمة ، ورنوة منكسرة هى اثر من أسى قديم هيهات أن يزول من الفؤاد ، او تمحو الايام منه ذلك الاثر !!

أطنان من أحسن السكر المصرى المكرر!

سكر القصب المصرى الجيد النوع يكوّن أحد المحتويات النقية التى تدخل فى كل زجاجة كوكا كولا. كل أقة من هذا السكر تزرع وتكرر فى هذه البلاد. فشركات تعبئة الكوكاكولا المصرية تستهلك كميات كبيرة من هذا السكر، ولذلك يشتد إقبال الجمهور على الكوكاكولا لما لها من فضل فى تنمية الزراعة المصرية، وصناعة تكرير السكر المصرى. فآلاف العمال يعملون فى الحقول ومصانع التكرير. وهذا مثل آخر لفضل إحدى الصناعات المصرية فى إنتاج شرابك المفضل - كوكاكولا المثلجة!

المعبئون المعتمدون: مصانع تعبئة كوكاكولا - سيكو

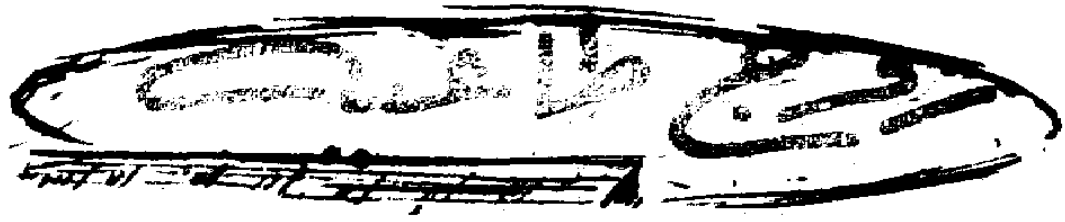

بنفس متعبة ، وبدن مجهدضعيف ، وقفت فى مطبخ دارى اهيىء العشاء والشمس تعدل الى المغيب ، وما لبثت أن سمعت مواقع قدم صغيرة آتية نحوى ، وما لبث ان دخل ولدنا الكبير فؤاد خائفا وجلا يصيح : انه قادم يا اماه !.. فاضطربت من هذا النذير واخذت انظر الى وجهه الناحل وعينيه المسكينتين وفمه الدقيق الحساس : وانا اغالب النفس امنعها ان تنظر أو تتألم !! تنظر ..

قلت فى عجلة : واين اختاك « سميحة وسوسنة » ؟ قال هما آتيتان بالبقرات من الحقل يا اماه ، وقد تاخرنا فى الرجوع لان « سوسنة » تشكو عثرة اليمة اصابت قدمها .

قلت : وهل علفت انت واخوك الاغنام وسقيتها ؟ قال : نعم يا امى لقد فعلنا . وقد ذهب ليحضر الوقود والحطب وانا ماض لاعينه عليه ، وانما جئت اللحظة لكى انبهك يا أم الى ان اباانا قد حضر .

قلت : اسرع يا بنى وجىء بالدلو ممتلئا ، فانت تعرف غضبة ابيك كلما راى الدلو فارغا

واخذت اعدو واروح فى المطبخ مسرعة لهفة أعد العشاء جاعلة من يدى لاثنتين اربعا : واذ بطفلى الصغير سعد الذى لم

يعد الحول الثانى قد جاء من فناء البيت باكيا صائحا ، وكان قد جرح اصبعه فابكاه الالم ولعب النعاس بعينيه ، ووقف يقول : جوعان يا ماما .

قلت : لا بكاء ايها العزيز ،وستأخذك أمك اليها اذا فرغت من تجهيز العشاء

فعاد يصيح ويتململ

وسمعت وقع أقدام دانية .. فهمست للوليد اقول سكوتا ، هاهوذا بابا قادم الى البيت فخير لك أن تكف عن البكاء فان بابا لايحب ان يسمع صوتك باكيا . فكف الوليد عن العويل مرة واحدة وان ظلت شفتاه تختلجان وتضطربان ، وارتفع صوت أجش خشن النبرات عند الباب يقول : ألم ينته تجهيز العشاء بعد ؟.

فاخرجت الصينية من الفرن بسرعة وقلت : ها هو ذا قد تهيأ .. فزمجر وارعد قائلا : وأين كنت الى الان ، وفيم قضيت هذا الاصيل يا لكاع ؟ وهاهوذا الليل قدأقبل ، وعلام كان هذا الخنزير باكيا ؟

قلت خائفة : لا شيء ما به من بسوء ، وانما جرح أصبعه

قال : عليه السوء ان لم يكف عن « زنه » الدائم وبكائه المقيم لا ينقطع ، اسامع هذا يا ملعون؟

ولكن الطفل اخذ (يزوم) ويبكى بكاء صامتا ، فتالم له فؤادى وخفق : اذ خشيت ان يسوطه أبوه اذا لم يكف ، وتذكرت اخر مرة علاه بالسوط ولم أستطع عنه دفاعاأو ان أحميه من سوطه

قلت ـ لالهيه عن الوليد : هاهو ذا العشاء قد تهيا

فتولى منصرفا كاشرا ، وما كاد ينصرف عن المطبخ حتى تناولت الوليد فى احضانى وهمست له اقول وانا التقط

صندوقا صغيرا من فوق الرف : خذ هـذا الزبيب واسكت ، فاحتجز الوليد عبرته المختنقة ومد يده الى الزبيب فملأت حفنته منه واجلسته فوق مقعد بجانب المائدة .

وكان الطعام قد صف فوق الخوان ، فجلس زوجي اليه ، وتسلل الصبيان الى مقعديهما من المائدة وهما يختلسان النظر في رعب ووجل الى أبيهما ، وكان فؤاد قبل الذهاب الى الخوان قد مر بالمطبخ فسألني في همس: اغضبان هو اليوم ؟

قلت : لا ادري ، احسبه في بعض الغضب ، اذهب فان العشاء قد وجب

واخذت سعيدا الوليد في حجري فجلست الى المائدة

وقطب زوجي حاجبيه الغزيرين وقال : مالي لا ارى « سميحة » و « سوسنة » على المائدة ، اين ذهبتا ؟ فوجمنا جميعا ، وبدا الرعب على الصبيين ، ولم يحر احدنا جوابا

فعاد يزمجر قائلا : لم لا تجيبون ؟ اعدتم صما بكما لا تسمعون ولا تنطقون ؟

قلت : انهما قادمتان بعد لحظة .. عندما يفرغان من حلب البقرات . فسكت وانثنى ياكل في صمت ، وما لبثت الصبيتان ان دخلتا فاحتلتا مقعديهما المعتادين منكستي الطرف خائفتين وما عتم ان ترك الاكل هنيهة ونظر اليهما قائلا : لماذا تاخرتما في حلب البقرات اليوم ؟ فوقفت اللقمة في حلق سميحة وتلعثمت قائلة : لقد آذت « سوسنة » قدمها فلم نستطع ان نعود بالبقرات مسرعتين ، فاضطربت المسكينة ووجلت وازدردت لقمتها في الم وقالت : عثرت رجلي .. فالتوت .. قال : حقا سانظر فيما قلت ، وان وجدتك كاذبة فوالله .. ولم يتم وعيده وانما راح يتأرها بنظره الحاد ، فامتقع محياها ورجفت شفتاها واضطربت اللقمة في يدها ، وفي تلك اللحظة احدث سعد الصغير

على المائدة حادثا فجائيا ، وكان المسكين لا يزال فى الحول السادس : وقد حل عليه التعب واثقل النعاس راسه فاصاب المائدة وحطم القدح ! فوثب ابوه من مجلسه متنمرا ، ووجدتنى انا كذلك قد نهضت ، ورحت توسل اليه واتشفع قائلة : وانا ادور حول المائدة لامنعه من الامساك بالصبى : !. انه لم يقصد . ولكنه دفعنى عنه دفعة ردتنى الى الجدار متراجعة وهو يصيح بى مرعدا : اليك عنى ،ودعينى اعرف شغلى ! ووثب على الطفل فهزه من فوق كرسيه ومد يده الى عصا معلقة فوق الجدار وسحب المسكين الى خارج الحجرة وهو يصيح به : ساعلمك ادبا غير هذا الادب . واحرمك تحطيم الاكواب والاقداح ايها الخنزير القذر ؛ ورأى الفلاحان لاجيران ما جرى فاسرعا فى الاكل وخرجا هاربين. واحتملت الوليد النائم من فوق حجرى فاضجعته فى فراشه وعدت الى المطبخ لغسل الاطباق وانا لاازال اسمع صيحات الصبى من آلم الضرب ، وكان دمعى قد نضب من زمان طويل ، فلم اعد اشعر من هذه المشاهد المتكررة صباح مساء بشىء غير خفقان شديد وهزة عصبية اليمة !.

وفى تلك الليلة ؛ وقد آوى الجميع الى المراقد ، تسللت من جانب زوجى وهو نائم يغط ، فدببت الى حجرة ولدى فالفيته لا يزال يبكى وبئن فى مضجعه ، فرقدت بجانبه وجمعته فى احضانى ؛ فلصق الصبى بى واخذ يبكى بكاء يقطع الاكباد ، قلت : صمتا يابنى والا سمعك. فازداد نحيبا وجعل يقول : ولكنى لم افعل شيئا . قلت : دع البكاء يا بنى لكى اقص عليك احدوثة (الفتاة الذهبية الشعر والدببة الثلاث) ولبثت معه حتى نام وعدت الى مضجعى وما كدت اضع راسى فوق الوسادة حتى شعرت بيد تهزنى وسمعت صوت زوجى وهو يصيح بى : الم يأن لك أن تصحى ؟ . فنهضت متعبة ضعيفة الاوصال فذهبت الى المطبخ وما لبثت البنتان ان جاءتا تسألان : هل

قلت له يا اماه ؟ وكنا قد اتفقنا فيما بيننا ان اتشجع فاستاذنه في الذهاب الى البندر لعرض امر صحتي على الطبيب اذ كنت اشكو الما شديدا في جنبي الايسر .. وقد علمت ان طبيبا جديدا قد نزل بالمدينة وتسامع الناس بحذقه ونطسه ، وكان الاولاد في لهفة على الذهاب اذ اذن ابوهم - لما في ذلك من مسرة مشاهدة المدينة والخلاص يوما من طغيانه .. فقلت للصبيتين : لم افعل بعد . ووعدتهما ان افاتحه عقب الفراغ من فطوره . وانتظرت حتى هم بالنهوض عن المائدة فقلت خائفة مترددة : هل تسمح بان اذهب انا والاطفال الى البندر غدا ؟. قال : وعلام تريدين ذهابا ؟. قلت واجفة : ان جنبي الايسر في الم شديد : واريد ان اذهب الى طبيب . فقال مرعدا مبرقا : ما شاء الله !. هذا ماكنت انتظر ، ان في المسالة اذن رجلا ! اتريدين رؤية الطبيب الجديد ؟ ذلك عذرك القديم وحجتك كلما اردت على الرجال ظهورا !. كلا ، لا يمكن ان تذهبي غدا .

ولوى عني عنقه وانصرف . وعدت الى الاولاد احمل اليهم نبا رفضه ، فتلقوه صامتين واجمين ، ولكنه صمت الخيبة ووجوم الحزانى البائسين . وكان يومنا يوم الغسيل فاجتمع الاولاد له ليتولى كل منه نصيبه ، وجعل سعد الوليد يجري على قدر ماتحمله ساقاه الصغيرتان معطلا الاولاد عن اعمالهم وهو يحسب انه معينهم . وفيماتحن في شغل بالغسيل وغلى الثياب اذ حضر زوجي فجاة حوالي الضحى فقال : اننا نقيم سورا حول الغيط القبلي فجهزي لنا في الحال غداء وركب منصرفا

فلم اكد اخلو الى الاولاد حتى القيت الغسيل جانبا وصحت اقول في سخطة البائس الضجر : رباه ! . ما العمل الآن وقد زحمنا الغسيل اليوم ولم نفرغ لغدائه !

ونهضنا جميعا لنهيىء طعاما وذهبت العجلة بصوابنا ، فلم نكد نصنع شيئا حتى عاد يطلب الغداء . قال هل انتهى ؟ قلت بل كاد . فمضى يرسل صيبا من شتائمه ونذره . وانتهى

الغداء فحزمناه له وتناوله لاعنا ساخطا وتولى ذاهبا يرعد ويقصف

وتهالكنا جميعا بعد ذهابه على المقاعد لنملك انفاسنا الصاعدة الراجعة ، وانثنت الصبية « سميحة » المتمردة الثائرة تقول : يا للشيطان انه لوحش كاسر ! فلم يعترض احد عليها فيما قالت ، ولم يقل احد قد اخطأت ونظر « الصغير » الى وجهى فى اشراقة وجه المؤمل وقال : هل سيغيب عن البيت النهار طوله ؟

قلت لعله . ففرح الاطفال وتهللت اساريرهم

وفى اليوم التالى بينما كنت انثر الماء رشا على الثياب المغسولة استعدادا لكيها ، اذ دخل على زوجى فقال فى لهجة المزمجر الساخر : لقد مضى عليك وقت طويل تهرفين فيه بسيرة الذهاب الى البندر فهلمى تأهبى للذهاب الان وعجلى . ففرحت بهذا النبأ المباغت وان آلمنى انه جاء على غرة فلم اهيىء للأولاد ثيابهم . وكان ذلك دأب زوجى ، كلما اراد شيئا زحمنى به ، واخذنى فى غفلة الغافل ، وذهبت الصبيتان لشد الحصانين الى العجلة وخرج اليهما ابوهما فراى « سميحة » قد اسرجت الفرس البيضاء فصاح بها قائلا : ما الذى اوحى اليك ايتها الخرقاء ان تشدى هذه الفرس العرجاء لجريح الى العجلة ، على حين قلت لك شدى الحصان الاشقر ! حقا ما رايت امراة عنيدة مذهوبة اللب مثلك ، ورفع كفه فلطمها لطمة عنيفة على خدها وزمجر قائلا : اردد هذه الفرس الى المربط وامكثى فى البيت اليوم لاتذهبين معهم ، وسمع الاولاد النبأ فذهب عنهم الفرح بالفسحة وتهيأنا بعد قليل لركوب العجلة ووقفت المسكينة ممسكة بالاعنة وصاح زوجى بنا : اريد منكم ان تعودوا الى هنا الثانية عشرة ، أسامعة ما اقول يا امراة ! فهززت راسى هزة الايجاب ، وانشأت اقول مضطربة المنطق واجفة : واجرة الطبيب كيف ادفعها ؟ فدس يده فى جيبه وارعد قائلا : تريدين نقودا ؟ باللعنة ! لاتفتأين

تطلبين نقودا ، ها هوذا نصف جنيه وهى اجرة الطبيب القديم فى البندر ، فخير لك ان تذهبى اليه وان كنت اعرف انك تبتغين الى الجديد ذهابا . وتناولت المبلغ مترددة وقلت : ولكن احسب الاولاد قد يحتاجون الى شىء من الحلوى . فألقى بضعة قروش الى الصبى الكبير وقال : هاك هاك يا ولد فانت العاقل الاوحد بين هؤلاء الحمقى المجانين

وامسكت بالاعنة وبدأت العجلة تتحرك فصاح مناديا : قفوا قليلا ، والتفت الى الصبية فقال اطلعى معهم وعليك اللعنة . ولكن الصبية تذمرت قائلة : ولكن لا نستطيع ان اذهب هكذا يا ابت . وكانت حافية القدمين فى ثوب ناصل اللون ممزق ابتذلته فى خدمة البيت ، فصاح بها ثانية : اطلعى قلت لك يا فاجرة . وفيما كانت الصبية تتسلق الى العجلة قالت يا نهى ! قد نسيت قائمة البقول والاصناف التى نريد ان نجىء بها معنا من البقال فى البندر . فبدا يسخط ويعن وقال : واين هى ؟ قلت لا عليك سانزل لاحضارها . وانطلقت عائدة الى البيت ثم عدت بعد لحظة وسارت بنا المركبة ..

وكانت المدينة منا على مسيرة عشرة اميال ، وكان حتما لزاما علينا وقد خرجنا على دقة الثامنة ان نقطع الشقة خببا اذا اردنا ان نعود فى الثانية عشرة كما وعد ونذر . وقد قدرت على هذا الحساب ان الذهاب والاوبة سيستغرقان من هذه المهلة الضيقة ثلاث ساعات ونصف ساعة ، ولن يبقى امامنا لرؤية الطبيب وفسحة الاولاد فى البندر والتعريج على البقال غير دقائق معدودات

وراح الاولاد يختلفون على خير الوجوه لتضييع النقود ، فمن قائل نشترى ملبنا ، ومن قائلة ملبسا ، وانتدبت سميحة الناصحة العملية تقول : سأشترى بحصتى منه لبانا امضغه فذلك اطول متعة واكثر لذة ومكثا

ولما ابتعدت بنا العجلة عن القرية أوقفت الجوادين واطلعت

من تحت ثوبى فستان سميحة وحذاءها وجوربها ، فلم يكد الاولاد يرونها حتى هللوا وصفقوا

وانثنت سميحة من فرح تقول : اذن لم تنسى يا أماه كشف البقال ، وانما تلك حيلة لطيفة تعودى بثوبى ، فشكرا لك يا أم شكرا .

واخذ الاطفال على الطريق فى لغوهم وفاكه حديثهم ، ولكنى لم اكن الى لغوهم ملقية سمعى، فقد عادت بى الخواطر الى ذكرى طفولتى الرغيدة الناعمة فى اكناف ابى الناعم العيش الموفق ، فمضيت أوازن بين طفولتى وطفولة هؤلاء الصغار المساكين افلاذ كبدى ، فتذكرت ان سميحة ادركت سن العذارى وبدأت تستقبل مطالع الشباب ، تذكرت انها قد صارت ابنة أربعة عشر ثم لم تدخل مدرسة ولم تجد من حسن التأديب والعناية ما تجده الاتراب الشبيهات بها المثيلات، وكانت « سوسنة » فى الحادية عشرة ومن شهدها ثم منع الفؤاد ان يحبها ؟ ، فقد كانت فى الصبيات الحسناء الحنون الوادعة

وكان فؤاد لايزال ابن ثمانية وكان احبهم جميعا الى فؤادى ، اذ كان اكثرهم مواساة لى ونرضية ، ولو كان ابى شهد سعدا ابن السادسة ، سعدا الشجاع القوى لاحبه واكبره ، ولكن ابواى ماتا قبل ان يريانى زوجا لذلك الرجل ، وحمدا لله اذ لم ينسأ فى اجليهما ليشهدانى فى شقوتى الحاضرة

وبلغنا المدينة فتركت الاولاد فى حانوت البدال ، ومضيت الى الطبيب ، وفيما كنت اصعد السلم الى طابقه وددت لو انثنى لم اجىء اليه ومضيت الى الطبيب الجديد الذى يلهج الناس بحذقه وفطنه ، وما كدت اقف ببابه حتى علمت انه غائب عن عيادته ولن يعود قبل الاصيل ، فتولانى اليأس وكبر على ان اعود الى القرية ولم التمس طبيبا . فخطر لى ان اذهب الى الآخر ففعلت ، وكان الدكتور رجلا مكتهلا صادق القول رحيما وان قست حقائقه ، فراح يقول فى بعض ماقال : دعينى ياسيدتى

أسر اليك الحق غير موارب ، ان هذا الالم الذى تشعرين به هو من قلبك ، ان قلبك فى اسوأ حال فقد اجهد اجهادا شديدا طيلة السنين والايام .

فوجمت ولم اقل شيئا .

قال : أراك لم تفهمى الامر جليا ، اننى اذا كنت قد قلت لك ان قلبك مجهد واهن فقد اردت ان تعلمى ان ايامك فى الحياة اصبحت معدودات ، ومن العبث ان اشرح لك ذلك بلغة الطب ومصطلحات الاطباء ، وانما حسبى ان اقول لك اذا كان لك امر تريدين انجازه فبادرى اليه ، وان كان لك اقرباء تريدين لقاءهم فخير لك ان تبعثى فى طلبهم .

فحملقت اليه البصر مبهوتة واجمة ثم انثنيت اقول : اتعنى بهذا ايها الطبيب اننى على الرحيل موشكة ؟

فتولى الرجل عنى ليخفى الم

وما لبث ان عاد يقول فى حنان ورفق : ان خير شىء افعل هو ان اصارحك الحق ياسيدتى ، فاعلمى اذن انك اذا لم تجهدى البدن ولم تتأثرى بعوامل قاهرة غالبة فقد تعيشين شهرا اخر ، فاذا جاوزته الى خمسة اسابيع كان ذلك احدى المعجزات ، اما الحياة بعد الاسابيع الخمسة فذلك ضرب من المستحيل ، ونذيرى اليك ان قلبك اذا هاجته هائجة من خوف او حزن او مسرة او فرح ، فلن يلبث ان ينطفىء كما تنطفىء ذبالة المصباح الذى نفد زيته .

قلت كأنما احدث نفسى ذاهلة شاردة اللب !. اربعة اسابيع .

قال : هلا جلست هنا قليلا حتى اعود اليك ؟

ومضى الى الحجرة الاخرى وبقيت وحدى .

يالله ! . ما كان اعجب المشاعر المتضاربة التى جالت فى نفسى ، ولكن لم البث ان احسست خاطرا شديد السلطان قد تملكنى ، وهو .. اذا كنت للحياة عما قليل مودعة ، فلا حاجة بى الى الخوف من زوجى بعد اليوم ، والخشية من جبروته وطغيانه ، مادمت

بعد ايام معدودة مفارقته متخلصة من وحشيته وبغيه وعدوانه .
يا لله ! . لقد بدا بين عيني صغيرا ضئيلا لايخاف شره ، ولايؤبه باذاه وضره .

ونهضت من مجلسي فوقفت الى المرآة اتطلع الى وجهي ..
واحزناه !. اذلك وجه امراة في الثامنة والثلاثين !. ام تلك الشياب الناصلة اللون بزة صالحة لزوجة رجل رب مزرعة حسنة الغلة ، درارة الرزق ؟

لقد كان اولى بي من زمان بعيد ان أكون رافلة في المطارف وان يكون اولادي سعداء ينعمون بكل مباهج الحياة واطايب العيش ، فما لبثت في موقفي ان رحت اناجي النفس قائلة : لم يعد لي في الحياة غير اربعة اسابيع أو قرابتها فلن اتطامن خلالها لمذلة ، ولن اصبر على سوء ، ولن ادع الاولاد اشقياء اذلاء مساكين ، يملأ الخوف من ابيهم افئدتهم الصغار الوادعة ، وماذا هو بي صانع ان خرجت على طغيانه وشققت الطاعة عليه ؟ اقاتلي هو ؟ وما شان ايام تزيد او ايام تنقص ؟..

وعاد الطبيب بزجاجة ، فقال : هذه الزجاجة تحوي دواء يخفف الالم اذا امض حينا واوجع

فتناولتها ودفعت الاجر وانصرفت .

ولما عدت الى الاولاد احاطوا بي متوثبين متحدثين في نفس واحد مسائلين : ماذا قال الطبيب ووصف ؟

فأريتهم الدواء وكتمتهم الخبر ، وما نفع القول وما مرده ، وهم صغار لايدركون شيئا ؟

واها للمساكين !. لقد هجم الدمع في عيني عندما طاف بهم ناظري واستعرضهم البصر : أربعة أسابيع معهم ثم رحل عنهم آخر الدهر واحقاب الابد ! اذن لابد لهم من أعوام الشقاء والبأساء والخوف والالم ! .

وهالني قصر المهلة في تلك اللحظة ، فخطر لي ان ابدأ من تلك الساعة واعجل .

قلت فجأة : ماذا أنتم صانعون اذا قيل لكم اللحظة ستبقون فى المدينة النهار كله ؟

فبهتوا وتبادلوا النظر واجمين، واقبل بعضهم على بعض يتساءلون : ولكن كيف نستطيع ذلك يا أماه ؟ . انه ولا ريب سيغضب وينالنا بسوء وقد ينالك يا أم كذلك .

قلت لاعليكم ، فلنبق اليوم فى المدينة مرحين .

فتهللت منهم الاسارير وقالوا لابأس يا أمنا ، وانما ينبغى ان نريح الحصانين .

قلت نعم ونجىء لهما بعلف صالح .

وتذكرت اننا بحاجة الى نقود اذا اردنا فى البندر مكثا .

فتركت الاولاد مع المركبة ومضيت الى المصرف الذى كان زوجى يعامله ووقفت حيال العامل المنشغل بما فى يديه من العمل خافقة الفؤاد اسائل النفس : أتراهم سيقبلون دفع شىء من حساب زوجى اذا طلبت؟ أم تراه نبههم الى رفض الدفع الى أحد غيره ؟ .

ولكنى ماعتمت ان استجمعت جأشى فتناولت شيكا ابيض فطلبت خمسة جنيهات وامضيته

وكان العامل يعرفنى وطالما شهدنى مع زوجى فى المصرف لتوقيع اوراق اراد ان اوقعها، فتناول الرجل الشيك متلطفا مترفقا فأجال فيه عينه ، ثم دفع القدر المطلوب بلا تعليق ولا اعتراض البتة . وتناولت المبلغ ذاهلة كمن هو فى حلم وانصرفت

وكانت تلك هى اول مرة منذ زواجنا ويقع فى يدى اكثر من جنيه واحد ، وعجبت لنفسى كيف كان الحصول على المال سهلا ، ثم لم افكر فيه طول السنين الماضية ! .

ووافيت الاولاد فقلت :لنتناول طعامنا اولا فى خير مطاعم المدينة.

فنظر الاطفال الى وجهى غير مصدقين ولا مدركين شيئا ، وكانما عجبوا مابالى قد تغيرت هكذا ولم اعهد احسب لابيهم الجبار حسابا ؟

قلت هيا ليختر كل منكم أبدع طعمة يقترح .
فقالت «سوسنة» أريد جبنا ، وصاح « سعد» وانا موزا، وطلبت «سميحة » سردينا ، واختار فؤاد تفاحا
فكان ماطلبوا ...
ولما فرغنا من الطعام طفنا بالحوانيت أبتغي لكل واحدمنهم هدية ثم قلت لهم - بعد اقتناء التحف المختلفة - تعالوا ايضا نشهد الصور المتحركة ، فوجموا وعقلت الدهشة ألسنتهم ولم يكونوا قد راوا الصور المتحركة من قبل ، فجلسوا ينظرون اليها متلذذين حائرين ... !
وكان مساء عندما ركبنا عائدين الى القرية ، ولم أحمل على الجوادين ، بل تركت العجلة تمضي في رفق ، فقد مضيت عدة سنين لم أشهد فيها الشمس في المغيب ، ولم أمتع العين برؤية القمر بازغا ، وفيما كنا ندنو من القرية تذكر الاولاد انهم عما قليل مواجهون اباهم فانزووا في مجالسهم من العجلة خائفين .
وكانت التاسعة لما وقفت بنا المركبة فاذا به منتظر أو بتنا لدى الباب ، فاجفلت لمرآه في موقفه لانني كنت قد نسيته كل النسيان .
قال : ماشاء الله ! . حقا انه لوقت بديع فيه تعودون ، اين قضيتم هذه الفترة المتطاولة ؟ الا تعرفون انني سأعود من العمل عشاء لاجد طعاما فلا أجده ؟ اللعنة عليكم .
وراح يمطرنا وابلا من سبابه ولعناته .
ووقف الاطفال ينظرون الينا مبهوتين جازعين .
قلت عابثة مفاكهة : هراء ماتقول ، الست لم تعمل شيئا كثيرا سحابة نهارك وعندك الاجيران يتوليان العمل عنك ، أفيؤودك أن تصنع عشاءك بنفسك ولو مرة في العمر !
ولو ان السماء خرت عليه في تلك اللحظة لكان ذلك عليه أهون ، فقد شك لهذه المفاجأة الجريئة ، فوقف يحملق في وجهي البصر معقول اللسان ، وقبل أن يستجمع ليه الذاهب كنت قد جمعت ماجئت به معي في المركبة ومشيت بالاولاد الى البيت .

ومـددت يدى الى محجـر عينه ودفعت اصبعى فيـه

وهمت الصبية « سميحة » بنزع الاعنة وتسريح الجوادين من المحلة ، ولكنى منعتها قائلة : دعى هذا لصبيانه الاجراء يفعلوه وكفاك ما اسرجت وسرحت طول هذه السنين . تعالوا بنا الى العشاء .

وفيما نحن جلوس الى الخوان ، جاء زوجى ابيض الوجه من فرط الغضب فادركت ان العاصفة موشكة ان تهب هو جاء مزمجرة . فآويت الاولاد الى المضاجع وعدت اواجهه .

فتلقانى هو قائلا وهو متجهم ثائر : من انت حتى ترفعى الصوت فى وجهى عاليا ؟

فاطلت النظر اليه وعجبت لنفسى كيف فارقنى خوفى القديم منه ، وتركته يلعن ويسترسل فى فحته وسبابه حتى اذا سكت قليلا ليتمالك انفاسه ، رحت اقول بسكون تام : ان هناك شيئا واحدا اريد ان اسمعكه فاسمع اذن ماهو ، ان شتائمك ولعناتك وحبك وبغضاءك لم تعد تحرك فى نفسى ساكنا ، ولست ابدا بما تفعل او تقول او ترى ، وانما اولى لك فاولى ان تكف يدك عن اولادى بسوئك وشرك .

واوليته جانب الاعراض وذهبت فى تلك الليلة فضجعت مع الصغار وهم مما فعلت فى فرحة وعجب .

وفى صبح اليوم التالى بعد تناول الفطور سمعته يقول لسميحة اعدى جوادا لك لتذهبى معى الى الغيط الشرقى لتساعدينى اليوم

فلم تحر الفتاة جوابا ، ورحت القى قنبلة فى وسط الحلقة بقولى : انها لن تستطيع الذهاب معك الى الحقل غداة يومنا هذا ، فخذ احد العمال معك لاننى اريد ان تذهب الصبية معى .

فساد السكون وراحت كل عين تتطلع الى وجهى وامتقع وجه زوجى واختنق صوته وهو يقول : ماذا اسمع ! تذهب معك ؟

قلت : نعم فاننا ذاهبون اليوم الى البندر .

فبهت الجمع وكسفت الوجوه واشتد بالنفوس الجزع .. .

يالله ؟ أأذهب الى البندر وقد استويت اليه أمس الدابر فقط ؟ أنا التى عاشت الدهر الطوال لا ترى فيه المدنية الا زورة اللمام وبعد غب الاشهر ، قد عدت أريد أن تكون الزورة لها فى اثر الزورة .

وقبل أن يتمالك السامعون رشدهم من فرط العجب ، انطلقت أقول : أسمع اننى أريد أن أتحدث اليك قبل انصرافك الى العمل .

واكبر ظنى انه ماكاد يسمع هذا النذير حتى اضطرب وتمشى الخوف فى صدره ، فقد حسبنى قد فقدت الصواب أو مسنى من الشيطان مس .

ولكنه تبعنى مع ذلك الى معزل لنتكلم .

قلت ـ لما خلوت اليه ـ اصغ الى ، لقد حانت الساعة التى ينبغى فيها ان نتبادل فهما أو ننتابذ على سواء ، ولا خير فى ارجائه الى غد أو الاسبوع القادم ، بل ينبغى ان يكون ذلك الساعة ، ان هناك مطالب لابد من قضائها وانا قاضيتها أردت أم لم ترد .

ولكنى رأيت ان أمتحن رجولتك لعلك يوما فى الحياة مستطيع ان تكون بوا رحيما ورجل خير شهما طيعا .

فوجم وعالجنى بقوله : ـ يا للابالسة ! . ما هذا الذى تمهدين له بمقدمتك هذه ؟

فانثنيت بحدة وغضبة اقول : مهلا بعض هذا الحنق ، واعلم ان لانفع من سبابك وسخطك ، الا تستطيع ان تتحدث لحظة بل مرة واحدة فى العمر بعقل ، فلا تستطير لكل تافهة .

فجحظت عيناه من فرط الدهشة وكأنما ايقن اننى قد جننت .

ومضيت أقول : أولا أريد ان ابعث بالصبيتين الى مدرسة حسنة للبنات ، وثانيا أريد عمالا يتولون عن أولادى حلب البقرات والشاة والنعم ، ورعاية الخيل والاحتطاب ، ثم انا بحاجة لشىء من المال ، قل مثلا الف جنيه ، ترصدها لحسابى فى المصرف .

فانفجر قائلا : انت مجنونة !مجنونة ولا شك . ياعجبا ! ماسمعت هراء كهذا فى حياتى. تريدين ان تمرحى فى البنادر وترتعى وتبددى مالى ونشبى وتعلمى اولادى ليكونوا غدا لصوصا وسفلةمشردين مجرمين؟ ولا مليم انت مصيبة ، اسمعت نذيرى ؟ نعم ؛ لن تنالى منى شيئا ، ولئن لم يسمع أولادك ماامرهم به لارجمنهم ولاصلبنهم فى جذوع الشجر ، واذا لم تنتبهى لنفسك وتاخذى بالحكمة والعقل فى مسلكك فسيصيبك غدا ما هو مصيبهم .

ونظرت اليه فى تلك اللحظة وهو كالمجنون الراعد الراعش، فلم الق بالا الى ثورته وغضبه . وكانما وهبنى الله فى تلك اللحظة قوة من لدنه فمضيت اقول : لقد كان لى خمسة آلاف جنيه يوم الزواج بك ، ذلك مال تركه لى ابى ؛ ولقد مضى على ستة عشر عاما وانا اتوسل اليك، واستندى كفك لكل درهم انفقه، وكل قليل ضئيل احتاج اليه ؛ وما اذكر انى اصبت منك فى كل هذا الدهر الطويل غير دراهم معدودات ، ولكنى اليوم عاملة على ان استرد بعض ماوهبت ، ولست أسألك اكثر ؛ وانما فضلة منه أريد ، ولقد اردت ان ادع لك الفرصة لتظهر شيئا من رجولتك فأبيت الا ان تسلك مسلك الجبناء ، فعلى راسك اذن فلتقع التبعة ، ولتحمل اصر ماجنيت .

ولويت عنه نحرى وانطلقت وهو يذرع الفناء ساخطا صائحا متنمرا يقول : اذا خرجت اليوم من البيت وذهبت الى المدينة ، قتلتك كما يقتل الكلب العقور المسعور .

ومضى الى حصانه فاعتلاه وترك للريح ساقيه .

* * *

ولما بلغنا المدينة تركت الاولاد يلعبون ومضيت الى المصرف فسألتهم بيانا عن حساب زوجى ووقفت خافقة الفؤاد انتظر ؛ ولما تناولت الحساب وانقيت عليه نظرى لم اكد اصدق ما ارى .. الفان وخمسمائة !

وكنت بالامس استنديه نصف جنيه للطبيب اجرا ..!

فتولانى الغضب واخذ الغيظ بنحرى ووددت لو اضع يدى على ذلك القدر كله . ولكنى عدت الى نفسى فكتبت صكا بألف فقط ، وذلك خمس ماكان لى يوم المقترن به .

ونظر الصيرف الى الصك نظرة المستريب المتردد ثم قال : ان هذا المبلغ كبير ، والافضل ان تقابلى المدير ، فمشيت فى اثره

ولما علم المدير الخبر تطلع الى قائلا : آمتأكدة ياسيدتى ان زوجك يريد سحب هذا المبلغ كله اليوم ؟ معذرة عن سؤالنا هذا وتدقيقنا .

قلت فى اتم سكينة : نعم ، يريده لسداد دين استحق الوفاء

قال : اذن لابأس ، اصرفه لها شكرا ياسيدتى وعذرا ...

وتناولت الاوراق حيرى لاادرى اين اخفيها .. ولكن مالبث خاطرى ان عاد بى الى رجل كبير محام مدره حاذق كان صديقا لابى ، فذهبت اليه ونفضت له جملة الخبر . فأقرنى على مافعلت ، وشدد عزمتى والهم روحى الاقدام ، فاودعت لديه نصف المال لكل ولد منه مائة ، ووضعت اربعمائة فى غلاف وكتبت اسمى عليه ، ودسست المائة الباقية فى حقيبتى ، وانطلقت الى الاولاد مسرعة ، فأخذتهم الى مطعم فخم انيق حيث اكلوا واستمرأوا الصحاف المختلفة الالوان ، ولما خرجنا من المطعم قلت : هلموا بنا نطوف الحوانيت مستقضين ، فهللت « سوسنة » وفرحت «سميحة» وطرب وانثنى «سعد» يقول : بل خير لنا لو اننا ذهبنا الى الصور المتحركة ، فاحتجت الصبيتان على هذا المقترح وصاحتا : بل الحوانيت لنبتاع مايروقنا ، قلت : ليذهب الصبيان الى السينما ولنذهب نحن الى الحوانيت ، فهل تعدنا يا « فؤاد » انك راع اخاك الصغير « سعدا » اذا تركناكم هناك ، فطفر الغلام من الفرح برعاية اخيه ووعد ، فذهبنا بهم الى دار الصور فأجلسناهم فى اماكنهم ورجعنا الى المدينة نلتمس المتاجر ، فاخترت منها افخم متجر للثياب فدخلناه وحطنا

تقلب الثياب حتى راق الصبيتين آخر البحث والتقليب ثوبان بديعان نفيسان فابتعتهما لهما ، واقتنيت كذلك ثيابا لردئة المدرسة وهما ذاهلتان فرحتان بما ابتاعتا من نفيس وحسن . وعدنا الى الصبيين فأخذناهما بدورهما الى الحوانيت لفرجة وشراء ، وفيما نحن خارجون من باب المتجر لقينا زوجي وجهها لوجه ، فجمد الاولاد فى اماكنهم ، ورأيت وجهه تعلوه فترة وفيه لون الغضب . قال : اركبوا العجلة الى البيت فانى سائطكم وملهيكم بالعصا أجمعين . ووثب الى صهوة حصانه ومضى ، فانشأت « سوسنه » تقول خائفة : ماذا ترينه سيفعل بنا يا اماه ؟ وقال « فؤاد » وما العمل يا أمنا ؟ قلت لا عليكم يا بنى ولا خوف ولا رهق ، ألست امكم ، أليس لى من الخطر والشأن ما لأبيكم ؟ قالوا جميعا : ولكن كيف نستطيع الذهاب الى البيت وعلينا هذه الثياب الحسنة والمطارف ونحن نخشى عليها ان تفسد فى العجلة ؟ ففكرت فى الامر مليا ، وما عتمت ان رحت اسائل نفسى : علام الرجوع فى تلك العجلة القديمة القذرة بعد اليوم ؟ ألم يكف ان ركبناها ستة عشر عاما كاملا ؟ ان انسانا لم يعد له فى الحياة الا أربعة اسابيع - بل ثلاثة ونصف - فان النصف الاخر انقضى - اولى به ان يكون احسن ركبة من هذا وافضل مستقلا . وفيم حرصى على البقية من المال التى اودعتها لدى ذلك الشيخ الصديق ان لم انفقها فى نعمة ومتاع طيب ؟

فذهبت اليه من لحظتى وقلت له : اننى سأذهب لابتاع سيارة ، فامتدح الشيخ الفكرة ومضينا معا الى مخزن للسيارات قريب ، فاشترينا واحدة بثمن معتدل ، وما كاد الاصيل يجىء حتى دربنى القوم على سوق السيارة . فركبناها الى البيت والاولاد من الفرح بها ذاهلون عن خوف ابيهم وخشية لقائه . وبعد العشاء ذهبت بهم الى المضاجع باكرين ، وظل زوجى على المائدة صامتا ، ولما مضيت الى المطبخ جاء ورائى فقال محتدما : تعالى هنا . وكنت فى الايام القلائل الفارطة لم اعد استشعر منه خوفا ، ولكنى فى تلك اللحظة خفت منه خيفتى الماضية ،

وانطلق هو يهز قبضة يده فى وجهى صائحا : هيا احزمى ثيابك، ورأى منى فى تلك اللحظة انزواءتى منه فترك للغضب سبيله وعاد يصيح : احزمى ثيابك يافاجرة فلن يحتويك البيت بعد اليوم . قلت : والاولاد . واختنق صوتى فامسكت ، فمشى يريد حجرتهم . فوثبت من مكانى فعدوت فى اثره، قلت : ماذا تريد ان تفعل؟ فالتفت الى مزمجرا فقال : مالك ولما اريد ان افعل ؟ سأسيطهم حتى اهرا بالسوط ابنائهم . واداز الاكرة فالقى الباب موصدا ، فأمسك بكرسى ومشى يريد تحطيمه ،ولكن ماكدت اسمع صوت الضربة الاولى حتى عاودتنى شجاعتى فى خطفة البرق وفى غضبة الجنون الثائر . وسمعت دويا فى اذنى ورأيت العالم قد استحال فى ناظرى بلون النجيع الاحمر ! فوثبت اليه فامسكت بالكرسى قبل ان يهوى بالضربة الثانية . وزأر هو صائحا : اننى قاتلك ايتها الشقية . . . فتماسكنا بالمقعد ولست ادرى حتى الساعة أين لى بكل تلك القوة التى احسستها فى تلك الساعة . وانتشب [illegible] ، وجعل يهوى بلكماته ويهزنى هزا، وزحت احداهن واوكلة والعنه و[illegible] فلحمه ،وعدت فى لحظة وحشيا كاسرا ضاريا ،ورايته ثغرة امامى فمددت اليها يدى فاذا هى محجر عينه فدفعت اصابعى فيه ، وماليث ان سادنى ظلام دامس واستولت على غشية غاشية . . .

* * *

ولما فتحت عينى الفيتنى طريحة على فراش فى مستشفى والطبيب مكب على والممرضة مشرفة ، فاغمضت العين ثانية وعدت اهبط سباتا عميقا . . .

وتتالت الاسابيع ، واقبل مع الطبيب طبيب طار فى الآفاق بالنطس ذكره . فتوليا فحصى ودققا الفحص جهدهما ، وطلع على فى ذات يوم - وقد اخذت ابل من مرضى - الطبيب بالبشرى . فقال : ان زميله راى اننى مع الرعاية والفراغ من الهم والخلاء من المتاعب ستطول بى الحياة واعمر .

وفى اصيل اليوم التالى صحوت من اغفاءتى فرأيت زوجى واقفا عن كثب من مضجعى

ولم ادركم طال بى موقفه ، وانما كذلك وقف خاشعا محزونا يكاد يلوح اشيب حطمته الاعوام

قال فى رفق وحنان : كيف تجدينك اليوم ؟

قلت : اخف حالا ولله الحمد

فمشى الى مرقدى فاهوى على يدى ووجهى تقبيلا فى بكاء وخشوع

وقال : اواه لك ! لماذا لم تشاجرينى من عهد بعيد وتعتركى ، فلطالما لهفت على المشتجر واحببت المعارك المناجز ! . صفحا ونسيانا ! . قلت من اجل الاولاد صفحت ونسيت ...

بنك مصر

يتقدم الى السدة الملكية الكريمة والأمة المصرية والعالم الاسلامى بأجل التهانى

بعيد الاضحى المبارك

فهرس

أوان الحب	٥
قسوة الحب	١٧
رهان على حب	٣٣
الفتاة التى تصنع الرجال	٤٤
معنى الحب	٥٥
ماالذى يقتل الحب	٦٩
حب بلا دسل	٨٤
زحام على قبر	٩٩
هتاف الامومة	١١١
زوج طاغية	١٢٣

obeikandl.com